

مجلة كلمة حق
السنة الثانية
العدد 23
يونيو 2019
كلمة حق
مذكرات رفاعي طه (١٥)
محمد إلهامي
ملامح المشروع السياسي لطالبان
كرم الحفيان
انهض واقتله أولاً (٢)
محمد عبدالله
قصة المشـاركة المصرية في
مذابح حفتر للشعب الليبي
محمود جمال
وغيرها من المقالات ..



يونيو ٢٠١٩



klmtuhaq
دورية ثقافية معرفية
نخبة من الكتاب والمفكرين

المشرف العام
محمد إلهامي

مدير التحرير
حامد عبدالعظيم

الافتتاحية..



الساعات الأخيرة

محمد إلهامي

حين يصدر هذا العدد من المجلة وتطالع عيناك هذه السطور، فستكون في الساعات الأخيرة من رمضان..

هذه الساعات الأخيرة من رمضان.. ساعاتٌ وينفضُّ السوق.. سوق الرحمات الكبير..

وتلك هي ساعات أمثالنا ممن يرجو أن يلحق بركب المقبولين والعتقاء رغم ضعفه ووهنه وسوء بضاعته..

تلك هي ساعاتنا وفرصتنا، فإن أهل الهمة والسبق والنشاط قد حصلوا على العتق في الأيام الأولى، ومن كان أدنى منهم همة فقد أدركه فضل الله في الأيام الوسطى.. وأما أمثالنا ممن يأتي على عرج وعلى عوج وعلى مهل فإننا نطمع فيما بقي من الرحمة التي نهل منها السابقون..



ثم من يدري..

من يدري، هل نستطيع أن نعبد الله في رمضان مرة أخرى أم لا..

فلعله الموت يأتينا فلا نرى شمس رمضان ولا غروبها أبدًا.. وكم في القبور الآن من يتمنى لو أنه اغتنم ساعة أخيرة من رمضانه الأخير! إذن لتغير مصيره الأبدي كله..



ترى ما قدر حسرة امرئ في قبره يتذكر ساعة أخيرة من رمضانه الأخيرة فرَّط فيها واستعجل على نفسه لهو العيد وعبثه.. أكاد أراه يتقطع من الغيظ والغضب على نفسه وعلى ما فرطت..

فها نحن في تلك الفرصة.. فلنغتنم ما استطعنا!

ثم من يدري..

من يدري لعله يصيبنا مرض فيحرمنا من الصيام أو القيام أو لذة تلاوة القرآن.. وكم على سرير المرض الآن من يتمنى لحظة قيام أو ساعة صيام أو تلاوة صفحة من كتاب الله..

كم من مريض يمر عليه رمضان وهو في غيبوبة لا يشعر به، أو يشعر به ولا يستطيع أن يؤدي العبادة فيه، فيجول بخاطره رمضانه الأخير الذي كان فيه يصوم ويصلي ويتلو.. فكيف تكون أشواق هذا ليعود لما كان فيه؟ وكيف هي أحزانه أن عجز عن عادته في رمضان؟!

ثم من يدري..



من يدري، ونحن أبناء الأمة المستضعفة المضطهدة التي تتقلب أحوالها وتضطرب أيامها، وتأتيها الكوارث على غير حساب.. من يدري كيف سيكون حالنا في رمضان القادم؟!

نسأل الله السلامة والعافية والعزة والنصر.. ولكن!

كم من مسلم كان سليمًا معافى في رمضان سابق جاء عليه هذا وقد فقد جارحة: عينًا أو لسانًا أو يدًا أو رجلًا..

كم من مسلم كان حرًّا طليقًا فإذا به اليوم أسير، أسير لا يملك أن يعبد الله في رمضان، بل هو في حكم سجانه الطاغية الذي يتفنن في إيذائه..

كم من مسلم كان في بلده وأهله هو اليوم مغترب في بلاد كفر لا يسمع فيها الأذان ولا يجد حوله صلاة تراويح..

لا أتحدث هنا عن أجر هؤلاء، فإن الله يكتب لعباده أجر عمل اعتادوه وعجزوا عنه، إنما الحديث عن الفرصة المفقودة.. الفرصة التي يعجزون عن إدراكها بعد أن ذاقوا حلاوتها.

تلك الفرصة ما زلنا نحن فيها، ولا تزال أمامنا منها ساعات.. ساعات قد تكون الأخيرة!

أكثرنا اليوم يختم القرآن.. وفي أجزاء القرآن الأخيرة آيات ذات أثر عميق، كأنها آيات تنبه العبد إلى أحوال نهايته..



مثلًا:

في سورة الحديد تقرأ: (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)

هذه الآية تقول ألم يحِن الوقت بعد كل هذا القرآن الذي تلوته أن يخشع قلبك لذكر الله.. هل سيطول عليك أمد ترك كتاب الله فيقسو قلبك؟ هكذا فعل الذين أوتوا الكتاب قديمًا، لما طال عليهم الأمد قست قلوبهم.. اعلموا أن الله يحيي القلوب بعد قسوتها كما يحيي الأرض بعد موتها!

في سورة الحشر تقرأ (لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)

ربما تتلو القرآن وأنت غافل عن المعنى فتأتي هذه الآية لتكشف لك حجم الأزمة التي أنت فيها.. إن هذا القرآن الذي توشك على ختمه لو كان قد نزل على جبل لكان الآن قد خشع وتصدع من خشيته لله.. ألم يحدث هذا لقلبك بعد؟!

تحاول أن تستوعب المعنى من جديد، تقرأ الآية التي تسبقها لتفهم السياق، فإذا أنت أمام قوله تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)..



"لا تترك كتاب الله، فتنسى الله، وحين تنسى الله فستذهب منك نفسك، تضيع وتتوه في أودية الدنيا، والدنيا كثيرة الأودية كثيفة المسالك والمهالك.. لا يمسك نفسه فيها إلا من تعلق بحبل الله وذكره."

في سورة المنافقين والتغابن تقرأ نفس المعنى في آيات مختلفة:
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [المنافقون]

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) [التغابن]

وقع في قلبي أنها تحذير من العودة بعد رمضان إلى مشاغل الأهل والولد حتى ليغفل المرء بها عن ذكر الله الذي كان يمارسه في رمضان..

والوصية التي تتلو كلا الآيتين، وصية إنفاق.. يبدو أن الإنفاق هو العمل الذي يحفظ النفس من هذا التيه والضياع، وهو العمل الذي يربطها بالله رباطًا وثيقًا.. اقرأ لكن بقلبك:



(وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ)

(فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦) إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ) [التغابن]

في آخر سور القرآن تكثر وبشكل عجيب ومثير للدهشة كلمة "تذكرة".. فمن بين ٧ مرات ذكرت فيها هذه اللفظة كانت ٥ منها في السور الأخيرة، مع معانٍ لاذعة قوية كأنها تمسك بتلابيب الإنسان أن يتذكر ولا ينسى، وألا يعود بعد ختمه القرآن إلى ما كان فيه كأنه لم يقرأه ولم يمر به..

اسمع :

في سورة الحاقة بعد ذكر إغراق قوم نوح: (لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ)

في سورة المزمل بعد ذكر فرعون ومشهد القيامة (إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا)

في سورة المدثر يوصَف القرآن بأنه تذكرة بعد ذكر النافرين منه الهاربين من معانيه (كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ)

في سورة الإنسان (إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلً)

وفي سورة عبس (كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ)

وهكذا خمس وصايا تتركز في نهاية القرآن تقول للمرء: تذكر ولا تنسى..

كأن القرآن يعرف أن كثيرًا من قارئيه سيودعه بعد رمضان.. فهو يذكرهم وينبههم، تنبيه الحريص الشفوق..

ومن يدري.. لعله الوداع النهائي.. فترى كم واحد منا ستكون تلك آخر ختمات حياته!

اللهم، يا ذا الفضل الواسع، يا من كتبت على نفسك الرحمة.. اشمل عبادك الضعفاء برحمتك وإن لم يكونوا أهلًا لها.. ولئن كان عبادك كثير، فلا رب لنا سواك.. أنت الغني عنا ونحن الفقراء إليك.. خذ بأيدينا ونواصينا إليك، أخذ الكرام عليك.. واجعلنا من المقبولين..



انهض واقتله أولاً (٢)

للصحفي الإسرائيلي: رونين بيرجمان (١)

ترجمة وتلخيص: عبد الله محمد*

سلسلة من الكوارث

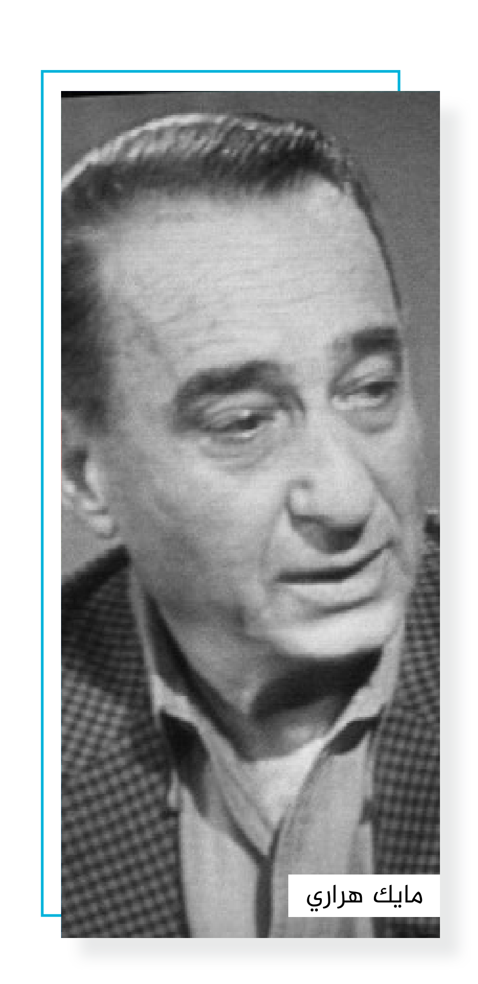
شهد منتصف الستينات كوارث للموساد بكل المقاييس، فقد اكتُشفت حقيقة العميل إيلي كوهين، الذي وصل لمنصب مستشار وزير الدفاع في سوريا، والعميل وولفغانغ لوتز الذي اكتسب مكانة رفيعة في مصر، الأول أُعدم والثاني حُكم عليه بالمؤبد ثم سلم لإسرائيل في عملية تبادل أسرى لاحقًا .

* سلسلة مقالات تنشرها مجلة كلمة حق تباعًا تُترجم وتُلخص كتاب "انهض واقتله أولاً" للصحفي الإسرائيلي "رونين بيرجمان"، والكتاب صدر في يناير ٢٠١٨ م.

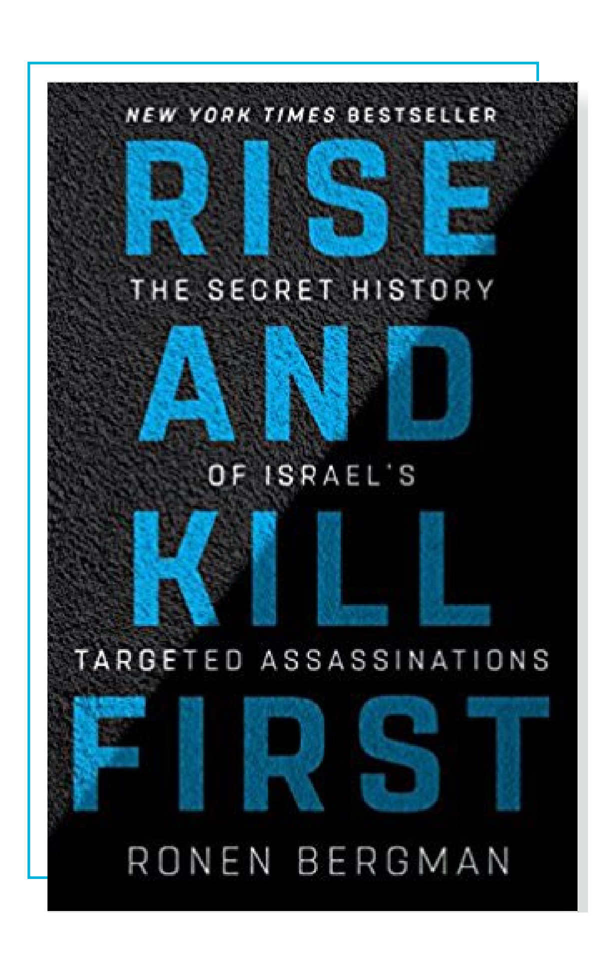
أما الكارثة الثالثة فهي أزمة أوشكت أن تقع بين الموساد والمخابرات الفرنسية بخصوص المعارض المغربي مهدي بن بركة. في القمة العربية في **١٩٦٥** في الدار البيضاء أجرى المغرب صفقة مع الموساد والشين بيت بأن تسجل المخابرات المغربية كل الحوارات والنقاشات بين الرؤساء العرب في القمة، ويكون للموساد مقر في المغرب وأن يسهل الملك هجرة اليهود المغاربة إلى إسرائيل مقابل أن يساعد الموساد ملك المغرب بالتقنية والمعلومات الاستخباراتية اللازمة ليتجسس على معارضيه ويساعد على تصفيتهم.

وبالفعل حدث في سبتمبر **١٩٦٥** أن ساعد الموساد في عملية الاختطاف ووفر للمغربيين الملاذ الآمن للتحقيق مع بن بركة وتكفلوا بالتعامل مع الجثة. هرب كل المتورطين من فرنسا بسرعة ولاحقًا اكتشفت السلطات الفرنسية الأمر وحوكمت شخصيات مغربية غيابيًّا وأثيرت الشكوك حول تعاون الموساد وظلوا دومًا خائفين من أن يُحاكم أعضاؤهم يومًا كذلك.

كل هذه الأخطاء الكارثية أدخلت الموساد وخاصة فرقة **caesarea** في حالة من الغموض والتشوش وعدم اتضاح الرؤية. هنا أتى للواجهة رجل اسمه مايك هراري، عُين نائبًا للرئيس في **١٩٦٥** ثم رئيسًا للفرقة في **١٩٧٠** ، ونقل فرقة الاغتيالات نقلة نوعية من مجرد كونهم جنودًا سابقين لا توجد لديهم عقيدة قتالية أو رؤية متبلورة. كانت بداية هذه النقلة عندما عُين على رأس لجنة لتقييم واكتشاف الخلل في فرقة الاغتيالات، وكان أول أعماله أن أوقف عمل الفرقة كلها ثم اكتشف أن إحدى أكبر ثغرات الفرقة هي انعدام التدريب، عند التخطيط لعملية اغتيال، لا يُعد التخطيط مكتملًا ما لم تتوفر خطط هرب المنفذين من ساحة الاغتيال، وكانت هذه بالذات مشكلة إذ إن أعضاء الفرقة لم يتدربوا أساسًا على أساليب الهرب بعد تنفيذ العمليات.


مايك هراري

تمثلت تغييرات هراري في التدريب على الهرب، إلغاء فكرة الاغتيال بالسكين أو أي قتال بالأيدي لتأمين الهرب الآمن للعميل وعدم وقوعه في الأسر، ثم التدريب على إخفاء الهوية تمامًا، إذ يكتب العملاء سيرًا ذاتية مختلفة تمامًا يحفظونها حتى لا يثيروا أية شكوك عند من سيكونون بينهم، ثم يتعلمون إحدى اللغات الأجنبية خاصة الأوروبية إذ فضل هراري الاعتماد على ذوي مظهر أوروبي بعد افتضاح خطة العملاء العرب في الدول العربية إلى أن يتقنوها، ثم يختارون مهنة تتطلب منهم التنقل وتكون غطاء لسفرهم لعمليات الاغتيال.



لكن أكبر نقلة حصلت في عهد هراري هي الصرامة، تطلب الأمر مميزات كثيرة حتى ينضم الشخص إلى فرق الاغتيالات في الموساد، فيجب أن يعرف الموساد أنه من أصل يهودي، ثم يعرف ما الدافع الذي يدفع العميل لقبول هذا العمل الخطير للغاية، يتفقد الموساد تاريخه والتأكد من أنه ليس عميلًا لدولة أخرى، ثم تكون التدريبات الشاقة جدًّا والتي لا يصمد لها الكثير، كان الإسرائيليون المولودون في أوروبا لهم فرص أكبر في القبول؛ إذ إنهم لن يحتاجوا للتدريب على تمثيل دور الأوروبي غير الإسرائيلي.

وبعد كل هذا يكون الاختبار الأخير، يجب أن يذهب المجند لقريته أو حارته في إسرائيل فيمر عليها ويدخلها ويخرج منها دون أن يعرفه أحد، فإذا عرفه أحد أقاربه أو أصدقائه فهذا فشل في الامتحان الأخير، هذا الامتحان الأخير بالذات انضوى على إجراء آخر، كان الموساد يعطي معلومات للشين بيت عن المتدرب فيذهب ضباط الشين بيت للقبض على العميل أثناء وجوده بقريته ثم يأخذونه إلى غرف تحقيق مغلقة متهمينه بأنه عميل فلسطيني، فيستجوبونه ويعذبونه، فإذا ضعف المجند وأخبرهم بأنه متدرب في الموساد فهذا كفيل بفشله كذلك.

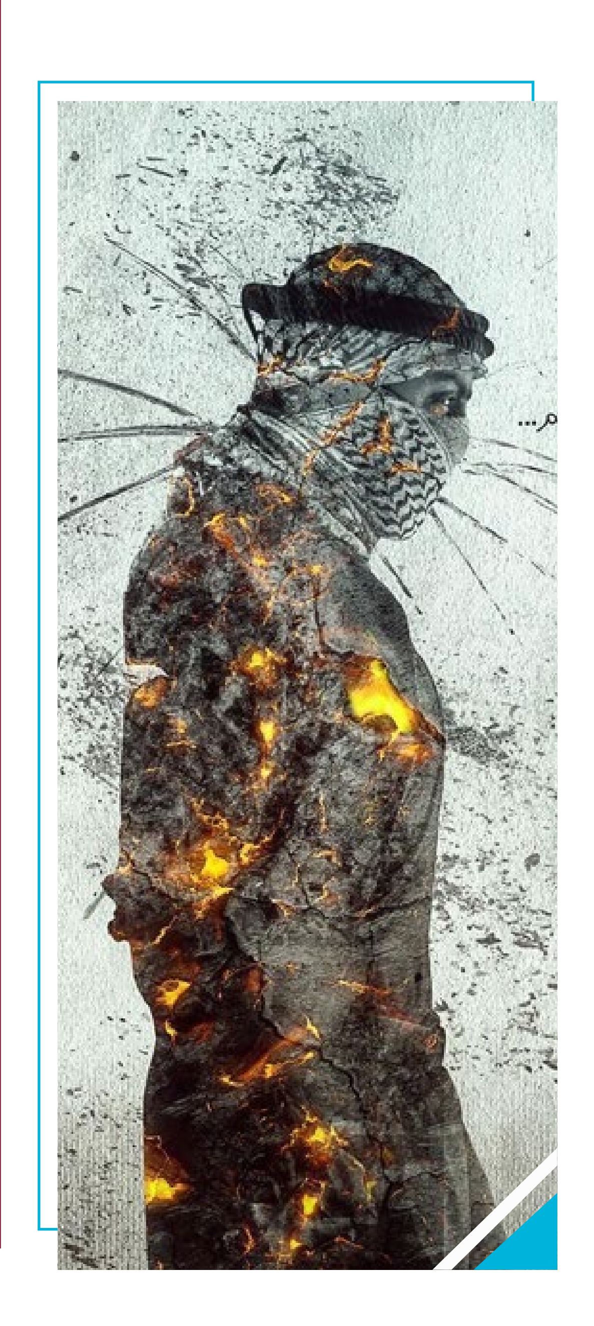
مع كل هذه الإجراءات، تقلصت نسب القبول في فرق الاغتيالات حسب تصريحات بعض مسؤوليها إلى ١٠٠٪. وبالطبع لم يفُت هراري أن يسمي الفرقة الوليدة باسم خاص، فسماها كيدون Kidon ، وصارت رسميًا فرع الاغتيال لجناح **caesarea** المختص بالمعلومات.

الكفاح المسلح هو الحل الوحيد لتحرير فلسطين

" مع أول انتصار لليهود في حروبهم في **١٩٤٨** ، هُجّر ما بين **٦٠٠,٠٠٠** إلى **٧٥٠,٠٠٠** ألف فلسطيني من أرضهم، بعضهم هُجّر من مسكنه إلى الضفة الغربية أو قطاع غزة - اللذين سيطرت عليهما إسرائيل بعد حرب **١٩٦٧** وبعضهم هُجر من فلسطين كلها. مع إعلان الدولة اليهودية بدأت موجة عمليات ضد المدنيين والعسكريين الإسرائيليين كان يقوم بها الفدائيون الذين كانوا يرسَلون بعلم وتحكم المخابرات المصرية غالبًا. بعد حرب **١٩٥٦** واجتياح الجيش الإسرائيلي لغزة والسيطرة عليها بالكامل، توقفت مصر عن دعم أي نوع من المقاومة، لخوفها على أمنها القومي وسلامة حدودها، ولكن لم تنعم إسرائيل بالهدوء إذ إن الهجمات لم تتوقف على الإطلاق. "



في عام **١٩٥٩** أعلن الفلسطينيان ياسر عرفات وخليل الوزير "أبو جهاد" عن تأسيس حركة التحرير الفلسطينية. لم يكن الإعلان عن تأسيس الحركة عفويًا بل كان نتيجة جهود عرفات وأبو جهاد لسنين؛ إذ إنهما كانا في بداياتهما من عملاء المخابرات المصرية، وشعرا بأن عبد الناصر خانهما بعد رفع يده عن فلسطين عام **١٩٥٦** . وبناء على خبرتهما السابقة في عمليات التخريب وحرب العصابات أسسا حركة خططا لتكون الممثلة الشرعية والوحيدة للشعب الفلسطيني. ولم تشعر أجهزة الأمن الإسرائيلية بخطر هذه الحركة في البداية إذ كان جمال عبدالناصر هو الخطر الأول على إسرائيل الذي تتوجه إلى محاربته الجهود، خاصة مع برنامج العلماء الألمان.



كان أول تقرير رفعه عميل في الموساد إلى رئيسه في **١٩٦٤** حيث أحس الموساد بأن الحركة تتحرك شعبيًا بين الطلبة والمثقفين الفلسطينيين في جامعات أوروبا وأن هذا التحرك سيشكل خطرًا في المستقبل، لكن الحركة قامت بتنفيذ أول عملية لها مطلع عام **١٩٦٥** وتزايدت هجماتها داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ ذلك الحين، أما الموساد فقد حاول عدة مرات أن يغتال ياسر عرفات وغيره من قيادات الحركة الذين تنقلوا بين الأردن ولبنان وسوريا، بناء على معلومات وصلتهم من عملاء لهم داخل الحركة، كادوا يغتالون عرفات مرتين ولكنه هرب في كلتا المرتين من مسرح الأحداث لابسًا حجاب النساء. أظهرت التجارب أن نوعية الهجمات وجودتها ودقتها كانت تتحسن كلما ازدادت العمليات ضد الإسرائيليين.

مير داغان وخبرته

مع نهاية حرب **١٩٦٧** واتساع نطاق سيطرة إسرائيل وتوسعها في طرد الفلسطينيين من البيوت وبنائها المستوطنات، حدث ردات فعل عنيفة من قبل الفدائيين الفلسطينيين وعمليات سُميت بالدموية، وبفعل هذه الأحداث فُتح باب النقاش داخل القيادة الإسرائيلية في كيفية التعامل الأمثل مع مثل هذه الأوضاع، فقد رأى بعضهم أنه يجب التعامل مع الأمر برفق وإيقاف مشاريع الاستيطان لمدة، بينما رأى آخرون أنه يجب الضرب بيد من حديد.

كان من ضمن الفريق الأخير آرييل شارون والذي سيُعين كقائد للجيش الإسرائيلي في **١٩٦٩** في المناطق الجنوبية التي من ضمنها غزة معقل المقاومة والعمليات الجهادية آنذاك. أسس شارون فرقة في الجيش ترفع التقارير إليه مباشرة على رأسها مير داغان أحد جنود حرب الأيام الستة الذين التقاهم وأعجب شارون بشجاعته وفطنته وكلفه باختيار وجمع **١٥٠** جنديًا أكفاء للمهمة التي سيكلفون بها، ثم إعطائهم تدريبات إضافية شاقة.

> هنا استفاد شارون من حاجة الشاباك (الشين بيت) إلى قوة استخباراتية للمساعدة في تحديد ومراقبة واغتيال الفلسطينيين المشكوك في أمرهم، أو الذين ثبت تورطهم في عمليات ضد الجيش الإسرائيلي؛ فقد تسلم داغان من الشين بيت قائمة بأسماء رجال مطلوبين في غزة يصل عددهم إلى **٤٠٠** اسم.



قسمت هذه الأسماء إلى القائمة السوداء والقائمة الحمراء. أما القائمة السوداء فتحوي أسماء الأكثرية التي لا تعلم بأنها مطاردة أو مراقبة وبالتالي يسهل اختطافها، كانوا يُختطفون هؤلاء ثم يعذبونهم حتى يستسلموا ويضطروا للكشف عن أسماء من يعرفونهم، ثم يوضع هؤلاء في سيارة أجرة بين رجلين ضخمين ويجبرون على الإشارة لبيوت الأعضاء الذين يعرفونهم تحت تهديد السلاح.

أما "الحمراء" فقد كانت قائمة الأسماء الخطرة التي تتربع على قمة هرم حركة فتح، وقد أسست لهم فرقة خاصة "الكوميليون" وأعطيت لهم تدريبات خاصة على المراقبة عن قرب والاختطاف أو الاغتيال، نظرًا لأن هؤلاء يعلمون أنهم مطاردون وبالتالي هم حذرون ومسلحون.

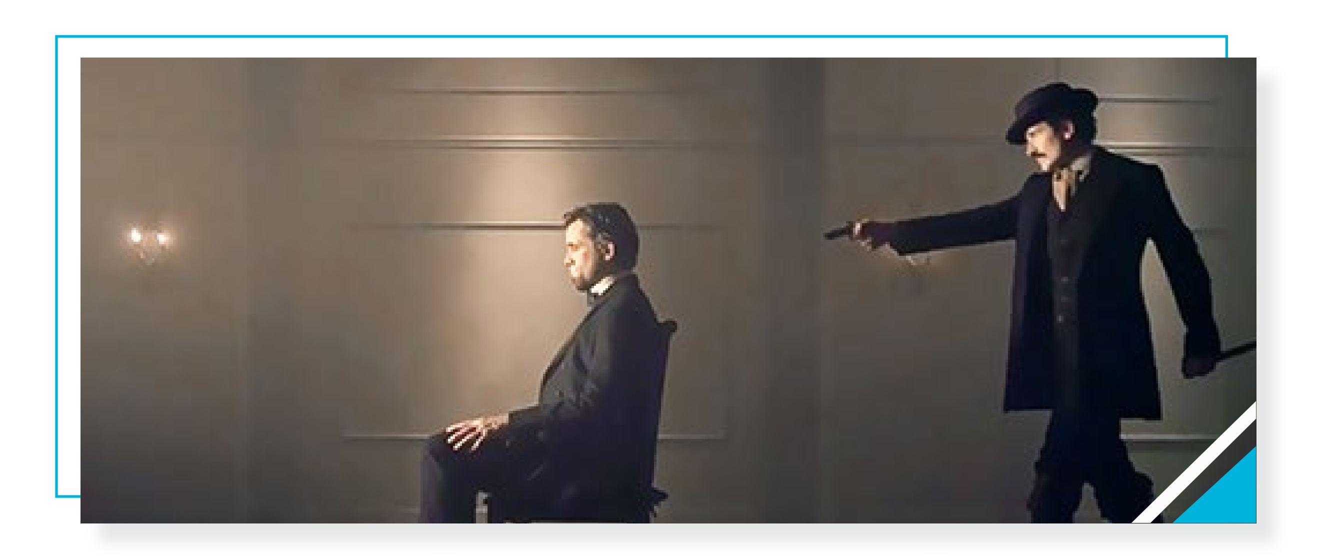
من بعد **١٩٧٠** بدأت هذا الفرقة بيد شارون عملها، فقلصت في خلال عامين المطلوبين في قطاع غزة إلى **٨** فقط بعامل التصفية الجسدية. استفاد الإسرائيليون من طريقة التقسيم الفلسطينية إذ إن منظمة التحرير الفلسطينية كانت يسارية وعلى خطى غيرها من اليساريين تؤمن بعقيدة "الحد الأدنى من المعلومات" بالنسبة للأعضاء؛ إذ العضو لا يجب أن يعرف إلا الذين هم في خليته وبمجرد أن يحمل غريب السلاح ويتكلم العربية يستغفل الأعضاء ولا يدركون أن هذا عميل للاحتلال إلى بعد فوات الأوان.



أحد الأسباب التي سرعت وتيرة هذا الاغتيالات هي حادثة قتل مستوطن وبعض أفـراد عائلته في **١٩٧١** ، إذ إن هذه الحادثة بالذات وحـدت الرأي الاستخباراتي الإسرائيلي المنقسم حول طريقة التعامل مع الفلسطينيين بين القسوة المفرطة أو مبدأ الشدة واللين، وتعاون بعض الفلسطينيين مع الاحتلال الإسرائيلي؛ فمثلًا كان بعض العملاء يبيعون أعضاء المنظمة قنابل تتفجر بعد ثانية من سحب الزناد، على خلاف العادة ولأن القضاء الإسرائيلي يلزم بالكشف عن أسماء جميع المشاركين في العمليات فإنهم كانوا ينفذون الاغتيالات سرًّا، وحتى من استسلم فإنه يُغتال.

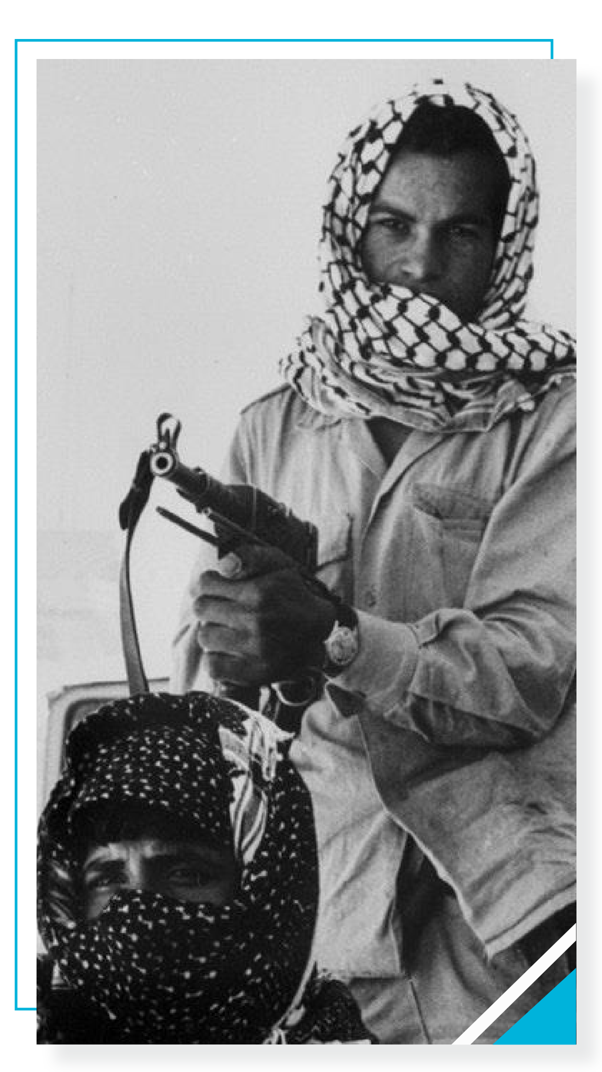
كان الإسرائيليون لا يتورعون عن قتل من يتهمونه بأنه إرهابي، فكان من طرقهم أن يتركون الباب مفتوحًا للسجين فيهرب، أو يتركون رصاصة في الزنزانة أو الغرفة التي يعتقل فيها ثم يقتلونه بتهمة الهرب أو حيازة سلاح، أو أن يخبرونهم بأن لديهم دقيقتين للهرب ثم عندما يهرب السجين يطلقون النار على "الهارب".

كانت هذه الاغتيالات محل ثناء من المؤسسات المدنية الإسرائيلية لأنه **"حفاظ على حياة المواطن الإسرائيلي"**، وسهلت بناء مستوطنات جديدة في أراضي **٦٧** التي كان اليهود المتدينون يرون أنه لا يجوز التفريط في شبر منها؛ لأن عدم توسيع أرض إسرائيل سيؤخر خروج المخلص "المشياخ" وخسارة هذه الأراضي ستعد خسارة إستراتيجية أيضًا.



في ظل هذه الأوضاع تأسست في عام **١٩٦٧** الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (**PLFP**) على يد مجموعة من الفلسطينيين الماركسيين على رأسهم جورج حباش ووديع الحداد، تحت غطاء منظمة التحرير الفلسطينية، فصارت ثاني أكبر فصيل بعد فتح.

قامت هذه الجبهة بعد تأسيسها بعدة عمليات لاختطاف طائرات تحمل ركابًا إسرائيليين، من أبرزها عملية في **١٩٦٨** حدث بموجبها تبادل الأسرى الإسرائيليين بأسرى فلسطينيين، وأخرى في سبتمبر **١٩٧٠** بادلوا فيها الرهائن الإسرائيليين بجنود سوريين.



" في ذروة نشاطها، اختطفت الجبهة في نفس الشهر سبتمبر من عام **١٩٧٠** أربعة طائرات أقلت ركابًا إسرائيليين، وأنزلوها كلها في الأردن واحتجزوا **٥٥** إسرائيليًا، بينما لم يهتموا بغير الإسرائيليين من الركاب وأطلقوا سراحهم. وطالبوا بمبادلة الإسرائيليين بأسرى فلسطينيين من بينهم ليلى خالد عضوة في الجبهة ومشاركة في عمليات اختطاف سابقة مما أغضب ملك الأردن الذي رأى أن الأوضاع في مملكته تخرج عن يده فأطلق يد أجهزته الأمنية لقتل آلاف الفلسطينيين المهاجرين إلى الأردن، وبعد هذه الأحداث أجبرت فتح على الانتقال للبنان وسُمي هذا الشهر سبتمبر الأسود. "

ليس لدي مشكلة في أي شخص قتلته

في نفس عام **١٩٧٠** ، صار مايك هراري على رأس فرقة **caesarea** بعد أن استمر في تدريبه للفرقة لخمس سنين، كان قد اقتنع خلالها أنه يجب على الموساد أن ينفذ عمليات اغتيال في أوروبا، كون القيادات الفلسطينية في العواصم العربية محصنة. ولكن جولدا مائير رئيسة الوزراء الجديدة رفضت الأمر رفضًا باتًّا معللة موقفها بأن الدول الأوروبية لن تسمح باغتيالات على أراضيها، وستسوء العلاقة بين هذه الدول وبين إسرائيل.

تغير موقف جولدا مائير تغيرًا كليًا بعد ما يًسمى بمذبحة ميونخ، وهي حادثة اختطاف وقتل لاعبين إسرائيليين أثناء حضورهم فعاليات الألعاب الأولومبية في ألمانيا، وقُتل بعض من شرطة ألمانيا الغربية كذلك، قام بالعملية حركة ست نفسها "سبتمبر الأسود"، اتضح فيما بعد أنها إحدى أذرع منظمة التحرير الفلسطينية لا أكثر. اعتقدت إسرائيل أن ألمانيا الغربية لم تقدم المساعدة الكافية لإنقاذ الرهائن الإسرائيليين، واتُخذ قرار داخلي إسرائيلي بأن يُفتح الباب لتنفيذ عمليات الاغتيال في أوروبا.

تلقى الموساد معلومات قيمة من عميل مسيحي لبناني مخلص لهم أعطوه الاسم الحركي "الحزن" مصورًا لهم مساكن ثلاثة من قيادات منظمة التحرير في بيروت بالعنوان في أكتوبر **١٩٧٢** ، بعد مدة وجيزة قرر الموساد القيام بعملية جنونية بإرسال فرقة الاغتيالات للبنان واغتيال هؤلاء الثلاثة المقيمين في بيروت.



أولى المشاكل التي واجهتهم كانت أن أعضاء كيدون - فرقة الاغتيالات في جناح **caesarea** لم يملكوا غطاء مقنعًا لدخولهم للبنان والبقاء فيها لمدة، ولأن غالب أعضاء فرقة جمع المعلومات **caesarea** في لبنان غير متدربين بما يكفي تقرر الاشتراك مع استخبارات الجيش آمان في تنفيذ هذه المهمة. استغل الجنود المرسلون للاغتيال سكن الأهداف في الساحل، فقد نزل ال -tal **sayaret mak** وحدة الاغتيالات في استخبارات الجيش في الساحل في ليلة 01 أبريل 3791 وبتعاون مع عناصر الـ **caesarea** الموجودين داخل لبنان وصلوا لغرف المستهدفين ونفذوا العملية بنجاح، فحدثت الاغتيالات وفجروا مبنى الجبهة الشعبية بتحرير فلسطين في بيروت بمن فيه، وخرج الإسرائيليون من لبنان في نفس الليلة سالمين.

„ إثر هذه العملية التي سميت فـردان "ربيع الشباب" استقالت الحكومة اللبنانية، أما على الصعيد الفلسطيني فقد تمت تصفية أعضاء المنظمة داخل فلسطين الذين عرفوا أو افتضح أمرهم جراء حيازة الإسرائيليين وثائق كمال عدوان أحد الثلاثة الذين اغتيلوا من غرفته وبدأت أسطورة الموساد الذي يصل لأي مكان في العالم العربي. "



استمرت في هذه الأثناء اغتيالات الموساد للفلسطينيين المنتمين لفتح أو جبهة التحرير الشعبية في أوروبا الغربية بالعشرات. كانوا يطاردون في بداية السبعينات أحد أعضاء منظمة سبتمبر الأسود وهو علي حسن سلامة، ابن المقاتل حسن سلامة ثاني قادة الجيش الفلسطيني في حرب 48.

كان علي سلامة على رأس قائمة المشكوكين بضلوعهم في عمليات ضد إسرائيل، كان كلما اقتربوا من الوصول إليه وجدوه قد فر لدولة أوروبية أخرى. في **١٩٧٣** ، كان هنالك مخطط لاغتياله في النرويج ولكن بسبب خطأ في تعريف الهدف اغتالوا مغربيًا عاش في النرويج وشابه لحد كبير علي سلامة، ووقعت الواقعة بخطئ فظيع لعميل الموساد السائق إذ لم يتخلص من السيارة التي ركبوها بعد إطلاق الرصاص، وكتبت رقم السيارة إحدى المارات وسلمتها للشرطة فقبضت عليه الشرطة النرويجية في المطار واكتشفوا أنه مصاب برهاب الاحتجاز وانتزعت منه كل معلومة عرفها عن الموساد حتى رقم هاتف مقر الموساد في تل أبيب.

” بهذه المعلومات ألقي القبض على خمسة عملاء آخرين شاركوا في عملية الاغتيال وساعدت هذه المعلومات على القبض على أعضاء موساد في دول أوروبية أخرى كفرنسا وإيطاليا، وصارت القضية فضيحة دولية إذ إنها كانت أول مرة يُلقى القبض فيها على المنفذين ويعترفون ويحاكمون، هذا الحدث جعل الموساد يتوخى الحذر في عملياته القادمة ويفضل التعاون مع الشرطات المحلية الأوروبية في بعض الأحيان، أما العملاء المقبوض عليهم فقد حُكم عليهم بأحكام كان أقساها خمس سنوات، ولكن أعيدوا كلهم إلى إسرائيل في 1975 وعرفت هذه القضية بقيضة ليلهامر. “



عوامل التوتر في الساحة المصرية، ومؤشرات تهاوي النظام أو استقراره

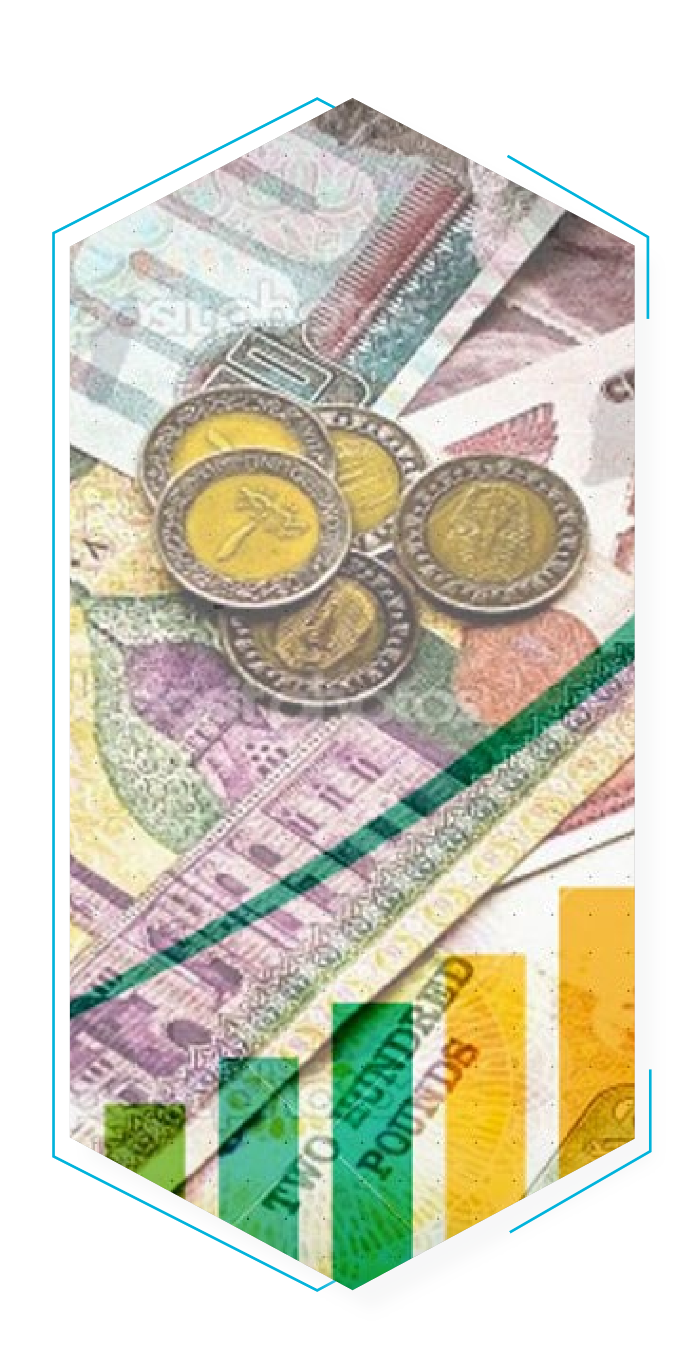
م. أحمد مولانا

يرجع تاريخ الدولة المصرية الحديثة من حيث الهيمنة على المجتمع، واعتماد مبدأ المواطنة كبديل عن الهوية الدينية بما يقتضيه ذلك من مساواة في جمع الضرائب وفرض التجنيد إلى عهد محمد علي. بينما يرجع تاريخها من حيث المركزية إلى ترتيبات الري في عهد الفراعنة. وقد أصيبت الدولة بالشيخوخة في عهد مبارك، وفقد نظام يوليو الذي يحكمها الكثير من مشروعيته في عهد السيسي فصار يدافع عن وجوده. وفي هذا السياق شدد السيسي على أنه يخوض حرب وجود للحفاظ على الدولة كي لا تنهار مثل الدول الأخرى المجاورة.

فالسيسي جاء للحكم بعد سنتين من ثـورة يناير التي ضخت مفاهيم ومعاني جديدة في حس الأجيال الشابة، من قبيل رفض الظلم والاستبداد، والتي قضت أيضًا على أيقونة (قدسية الجيش وأحقيته بتولي السلطة). كما أن السيسي بإيغاله في القمع وإغلاقه لهوامش الحريات، وفشله الاقتصادي المتفاقم، يستجمع مقومات السقوط لا البقاء، فضلًا عن أن الجوار الإقليمي يمر بحالة سيولة كبيرة، وكذلك يمر النظام الدولي باضطراب متزايد.

وفي هذا الإطار يمكن تحديد أبرز عوامل التوتر بالساحة المصرية وفق التالي

١ مجتمع شاب يتركز في مساحة محدودة تقدر بـ **٨%** من مساحة مصر، في حين تبلغ نسبة من هم تحت **٣٠ سنة ٦٠%** من السكان. وهو ما يترك تداعيات على قدرة الأجهزة الحكومية على الوفاء باحتياجات السكان الخدمية من قبيل التعليم، والرعاية الصحية، والصرف الصحي، والسكن، فضلًا عن تعرض الأراضي الزراعية إلى ضغوط من أجل انتاج كميات متزايدة من الغذاء والحبوب، مما يفاقم من أزمـة شح المياه. وكذلك يزداد الطلب على الوظائف في سـوق العمل بمعدل يتجاوز قدرة القطاعين العام والخاص على الوفاء به. وهذه التركيبة توفر رصيدًا بشريًا غاضبًا يمكن لأي حراك ثوري أن يستثير تفاعله.



٢ السياسات الحكومية الاقتصادية التي تلحق ضررًا واسعًا بقطاعات متزايدة من السكان. وهو ما يتجلى في تزايد التفاوت في توزيع الدخل حيث حاز أغنى **١ %** من الشعب في عام ٢٠١٤ ما نسبته **٤٨.٥ %** من الثروة مقارنة بنسبة 3.23% في عام **٢٠٠٠** . مما يجعل مصر تحتل المرتبة الثامنة عالميًا من حيث سوء توزيع الثروة. ولذلك قالت مجموعة الأزمات الدولية في تقرير لها في عام ٢٠١٧ إن الأداء الاقتصادي الضعيف يمثل أكبر تهديد لاستقرار مصر خلال السنوات القليلة القادمة.

٣ تأميم النظام للمشهد السياسي، واعتقال عشرات الآلاف من الإسلاميين وغيرهم، واعتماد الحلول الأمنية لمواجهة أي بوادر للمعارضة. فضلًا عن تدشين سلسلة من القوانين التي تقضي على حرية الصحافة والإعلام وتقوّض عمل منظمات المجتمع المدني مما راكم حالة الإحباط والعزوف عن العمل السياسي وسط الشباب. وهو ما ينعكس على زيادة فرص حدوث عنف سياسي، فوفقًا لهنريك أوردال من معهد أبحاث السلام في أوسلو **(PRIO)** أنه "عندما يشكل الشباب أكثر من **٥٣٪** من السكان البالغين.. فإن خطر النزاع المسلح يكون أعلى بنسبة **١٥٠ ٪** مما هو عليه في معظم البلدان المتقدمة ذات البنية العمرية المماثلة".



٤ تزايد الاضطرابات في مناطق الجوار الإقليمي مثل ليبيا والسودان، مما يضعف من القدرة على التحكم في الحدود، ويزيد من عمليات التهريب للأفراد والعتاد، ويوجد مساحات غير خاضعة للسيطرة الحكومية يمكن أن تُتخذ كملاذات آمنة لتجمعات معارضة.

وفي ظل ما سبق يثور سؤال حول المؤشرات التي يمكن من خلالها قياس مدى تهاوي النظام في حالة تحققها أو استقراره في حالة غيابها. وهنا نذكر أهم تلك المؤشرات:

١ عجز النظام عن توفير الخدمات الأساسية مثل الأمن، أو الرعاية الصحية، أو التعليم، أو المرافق، أو صيانة البنية التحتية للنقل. مما ينمي الشعور بالسخط على الحكومة، ويزيد من نظرة المواطنين إليها على أنها حكومة غير ذات جدوى (وجودها مثل عدمه)، ويوفر قاعدة من الشباب المؤهل للانخراط في فعاليات ثورية.



٢ التنافر بين مؤسسات الدولة، وتضارب مصالح القائمين عليها مثلما حدث بين الجيش والشرطة خلال ثورة يناير. وتواصل بعض المسؤولين بالنظام مع جهات إقليمية أو أطراف بالمعارضة طلبًا للدعم في مواجهة السيسي. وبدء مغادرة النخب المرتبطة بالنظام للبلاد. وتوافر تقارير عن مؤامرات عسكرية، ومحاولات انقلاب، أو انشقاقات.

٣ ترحيب قطاعات واسعة من السكان بأي انتفاضات أو مظاهرات جماهيرية، ومشاركتهم فيها أو على الأقل عدم التصدي لها في توجه معاكس لما حدث مع العديد من الفاعليات المناهضة لانقلاب ٣ يوليو ٢٠١٣ .

٤ تراجع قدرة الأجهزة الأمنية على شن عمليات أمنية هجومية ضد الكوادر الثورية والمعارضين، وتزايد إقبال الشباب على المشاركة في العمل الثوري، وتوافر إفـادات عن الرغبة المفاجئة للحكومة في السعي لعقد تسوية تفاوضية مع المعارضين.



٥ تزايد الاضطراب المجتمعي والسياسي على خلفية أحداث مثل الكوارث الطبيعية، أو الإعدامات السياسية، أو القرارات الحكومية غير المرحب بها شعبيًا مثلما حدث في تظاهرات **١٩٧٧** على خلفية قرار الحكومة تخفيض الدعم، وبدرجة أقل كما في حالة اللغط التي واكبت التنازل عن جزيرتي تيران وصنافير.

٦ سحب الدعم المقدم للحكومة من حلفائها الأجانب المؤثرين، مثلما حدث من أوباما تجاه مبارك خلال ثورة يناير. و تزايد معدل مغادرة الشركات متعددة الجنسيات للبلاد.

---

* المصادر:
Adel Abdel Ghafar, A stable Egypt for a stable region: Socio-economic challenges and prospects, European Parliament’s Committee on Foreign Affairs, 8102 .



قصة المشاركة المصرية في مذابح حفتر للشعب الليبي

محمود جمال

منذ وصول عبد الفتاح السيسي إلى الحكم في مصر بعد الانقلاب العسكري، وهو يعمل على تغيير عقيدة الجيش المصري، فبعد أن كان الكيان الصهيوني العدو الأول للجيش، أصبحت الجماعات والحركات الإسلامية هي العدو الأساسي والمباشر للجيش المصري.

في هذا الإطار تأتي مساندة ومشاركة الجيش المصري لخليفة حفتر في مذابحه ضد للشعب الليبي، وهي فصل من فصول تعاون أهل الباطل على الإثم والعدوان، وقد أعلن خليفة حفتر في فبراير ٢٠١٨ خلال مقابلة مع مجلة "جون أفريك" الفرنسية، بشأن علاقته بالسيسي أن "مواقفنا تقترب في الواقع، ووضع بلاده عندما وصل إلى السلطة مشابه لموقف ليبيا اليوم". وتابع "عدونا الكبير الإخوان المسلمون، يهددون بلداننا وجيراننا الأفارقة والأوروبيين على حد سواء"[١].

(١) حفتر في القاهرة... رسائل لقاء السيسي بالمشير، Independent، تاريخ النشر ١٤ أبريل ٢٠١٩ م، الرابط

أولاً: الإمداد بالسلاح

منذ بدأ خليفة حفتر عملية الكرامة في منتصف عام ٢٠١٤ م في ليبيا، ظهر الدعم العسكري المصري لقوات حفتر، وتنوع بين تدريب القوات، والإمداد بالسلاح، ودخول قوات مصرية للمشاركة في العمليات العسكرية على الأرض، والقصف الجوي بمشاركة القوات الإماراتية داخل الأراضي الليبية، في مناطق الشرق والغرب والجنوب الليبي.

ففي شهر مارس من عام ٢٠١٥ م، كشف تقرير للأمم المتحدة عن عمليات تهريب سلاح إلى ليبيا قامت بها مصر والإمارات، كما اتهم التقرير القوات التي يقودها خليفة حفتر بتعقيد عملية الانتقال السياسي وزيادة المشكلات الأمنية في البلاد. وتحدث التقرير المطول عن عمليات تهريب سلاح لا تشمل نقل الذخائر والسلاح فقط، بل بتحويل طائرات مقاتلة مصرية إلى ليبيا أيضًا. وبخصوص انتهاكات حظر الأسلحة، قال التقرير إن الإمارات صدّرت بشكل غير مشروع أسلحة إلى ليبيا وإنهم تلقوا معلومات تفيد بأن أبو ظبي نقلت عتادًا عسكريًا إلى مدينة طبرق شرق البلاد أواخر عام ٢٠١٤ م.

كما أكد التقرير إدخال طائرات حربية تعود ملكيتها لمصر في سلاح الجو الليبي، لكن معالمه أُخفيت عن عمد.

وأشار التقرير أشارت إلى أن مصر قدمت الدعم العسكري لعملية الكرامة، ومجلس النواب المنحل في طبرق[٢] .



---

(٢) تقرير أممي: مصر والإمارات هربتا أسلحة إلى ليبيا، الجزيرة نت، تاريخ النشر ٦ مارس ٢٠١٥ م، الرابط

وطبقاً لمصادر عسكرية مطلعة من الجانبين المصري والليبي فإن الجيش المصري منذ مايو ٢٠١٤ م يقوم بنقل معدات عسكرية مصرية الصنع وإمارتية الصنع، الثقيلة والخفيفة منها، إلي قوات حفتر، عن طريق الجو، وعن طريق البر من ناحية المنطقة الغربية العسكرية المصرية المتاخمة للحدود الليبية المصرية، وكانت قيادات هذه المنطقة الغربية تتولى تأمين وتسهيل عملية انتقال المعدات العسكرية إلى الأراضي الليبية، وأبرز هؤلاء القيادات:

١ اللواء أركان حرب محمد المصري قائد المنطقة الغربية الأسبق ورئيس هيئة العمليات الحالي.
٢ اللواء أركان حرب وحيد عزت قائد المنطقة الغربية الأسبق.
٣ اللواء أركان حرب شريف بشارة قائد المنطقة الغربية السابق ورئيس أكاديمية ناصر العسكرية الحالي.
٤ اللواء أركان حرب صلاح سرايا قائد المنطقة الغربية الحالي.
٥ اللواء أركان حرب محمد العصار رئيس هيئة التسليح الأسبق ووزير الإنتاج الحربي الحالي.
٦ اللواء أركان حرب عبد المحسن موسى رئيس هيئة التسليح الأسبق.
٧ اللواء أركان حرب طارق سعد زغلول رئيس هيئة التسليح.



ثانياً: الدور المصري الحاسم في السيطرة على الشرق الليبي

في ١٥ أكتوبر من عام ٢٠١٤ م وبعد شهور قليلة من بداية عملية الكرامة في ليبيا، قالت وكالة أنباء أسوشيتد برس نقلًا عن مسؤولين مصريين لم تسمهما، إن طائرات حربية مصرية قصفت مواقع لمسلحين إسلاميين بمدينة بنغازي الليبية، لكن الرئاسة نفت صحة التقرير، بحسب الناطق باسمها السفير علاء يوسف. وأضاف المسؤولان أن استخدام الطائرات الحربية جزء من عملية تقودها مصر ضد مسلحين، يشترك فيها قوات برية ليبية. ولفتت أسوشيتد برس إلى أن البرلماني الليبي طارق الجرشي "أكد" لها اشتراك طائرات حربية مصرية في العملية المستمرة في بنغازي، لكنه استدرك أن طيارين ليبيين هم من يتولون قيادة تلك الطائرات. [٣]

وكانت صحيفة نيويورك تايمز قد نقلت في أغسطس من عام ٢٠١٤م، عن أربعة مسؤولين أمريكيين بارزين قولهم إن مصر والإمارات تعاونتا لتنفيذ جولتين من الضربات الجوية، ضد مسلحين إسلاميين في ليبيا يستهدفون السيطرة على طرابلس. [٤]

◎ هذا بخلاف الضربة الجوية التي نفذتها القوات الجوية المصرية بعد إعدام عناصر مسلحة لبعض المصريين داخل ليبيا في ١٦ فبراير ٢٠١٥ ، وقالت مصادر "إن الضربات الجوية تمت وفق تنسيق أمني ومعلوماتي بين مصر وليبيا، حيث حددت المخابرات الحربية المصرية مواقع لتنظيم الدولة والأهداف وصورتها جواً وقامت الطائرات والمقاتلات "إف 16 " بالإقلاع من مطار سيدي براني غرب القاهرة، ثم وصلت إلى مطار مطروح، الذي انطلقت منه إلى الأهداف المطلوبة، حيث ضربت مواقع تنظيم الدولة ومخازن السلاح ومواقع للذخيرة، إضافة لمزارع كان يتجمع فيها عناصر التنظيم، فضلًا عن منطقة تسمى غابة بومسافر" [٥] .

---

(٣) أ.ب: طائرات مصرية تقصف مواقع للإسلاميين في ليبيا، ترجمة مصر العربية، تاريخ النشر ١٥ أكتوبر ٢٠١٤ م، الرابط

(٤) أنظر رابط ٢

(٥) تقرير أمني: مصر والإمارات هربتا أسلحة إلى ليبيا، الجزيرة نت، تاريخ النشر ٦ مارس ٢٠١٥ م، الرابط

وفي سياق آخر كشف مصدر عسكري من قوات "فجر ليبيا" الموالية لحكومة الوفاق عن وصول تعزيزات عسكرية لقوات حفتر خلال عام ٢٠١٤ م، كمنح من مصر والإمارات والأردن.



الدعم المصري الإماراتي كان منذ اللحظة الأولي مركز على حسم وسيطرة حفتر على المنطقة الشرقية بالكامل، ولكن المعارك على الأرض كانت لا تشير إلى أن حفتر قادر على الحسم العسكري، وفي عام ٢٠١٧ م كاد حفتر أن يتراجع بعد سيطرته على معظم الأراضي الشرقية التي بها ٢٥ % من السكان الليبيين باستثناء الغرب الذي به نحو ٧٥ % من السكان.

حفتر في تاريخ ٦ يوليو ٢٠١٧ م، أعلن عن التحرير الكامل لمدينة بنغازي[٦]، وذلك بعد ثلاث سنوات من إطلاق عملية الكرامة العسكرية في منطقة الشرق الليبي المتاخمة للحدود المصرية الليبية، ونقلت مصادر خاصة عسكرية ليبية مطلعة أن قوات حفتر قتل منها نحو ١٥ ألف قتيل في تلك المعارك، وجدير بالذكر أن عدد القوات التي كانت تواجهها قوات خليفة حفتر لا يتعدون الـ ٦٠٠ مسلح. استطاع حفتر حسم معركة مدينة بني غازي ليس فقط بالمعارك البرية التي كانت على الأرض، ولكن كان الحسم الفعلي عن طريق الضربات الجوية التي نفذها الطيران المصري بمشاركة الطيران الحربي الإماراتي، والذي كان يتخذ من قاعدة سيدي براني الجوية المصرية الموجودة في الاتجاه الاستراتيجي الغربي غرفة عمليات عسكرية لتنفيذ المهام الجوية على الأراضي الليبية، هنا يجب الإشارة إلى نقطة هامة وهي:

(٦) حفتر يعلن سيطرة قواته على بنغازي بالكامل، الجزيرة نت

في شهر فبراير عام ٢٠١٧ م، أي قبل إعلان حفتر تحرير مدينة بني غازي بشهور قليلة نشر موقع freedom of writing تقريراً مُدعّماً بصور بالأقمار الصناعية، تُظهر "عمليات توسعة" في قاعدة عسكرية قال إن السيسي بَنَاهَا على الحدود الليبية لدعم "حفتر"، وإنها ساعدت حفتر على مواصلة طريقه في الحرب الليبية لتثبيت أقدامه.

القاعدة الجوية قيل إنَّ مقرّها في مصر، على بعد ٤٥ كلم من الحدود مع ليبيا، وعلى بعد ٤٥ كم شمال واحة سيوة، ومساحتها ٤٥ كيلو متر مربع، ومَحميّة بشكل جيد بحواجز محيطة بها. ويمكن رؤية بعض التفاصيل من خلال صور القمر الصناعي، أبرزها أن البنَى التحتية "تستوعب الوحدات العسكرية المصرية أو القوات الأخرى". وبجانب عمليات بناء طرق ومسارات، تُظهر الصور وجود ما لا يقل عن ثلاث طائرات بدون طيار بحسب صور أخذتها الأقمار الصناعية ٢٣ فبراير ٢٠١٧ . وأن لقطة أخرى يَرجع تاريخها إلى ١ مارس ٢٠١٧ لا تَظهَر فيها هذه الطائرات، ما يَطرح تساؤلاً وهو هل استخدمت تلك الطائرات بدون طيار في ضرب قوات "سرايا ليبيا" ودعم قوات "حفتر"؟.

ففي ذلك الوقت أعلن مجلس شورى ثوار بنغازي، أن "طائرة أجنبية" استهدفت مقاتليه في منطقة "قنفودة"، وأن طائرات من أنواع أخرى هليكوبتر كانت تُحلّق فوق منطقتي "صبري" و"سوق الحوت" في "بنغازي"، لا يُعرَف لمن ترجع ملكيتها. وقال مصدر يقاتل إلى جانب سرايا الدفاع عن بنغازي في "الجفرة": إن طائرات مصرية غير معروفة النوع شاركت في الهجوم؛ لاستعادة مرافق النفط التي نفذتها قوات حفتر. كذلك أظهرت صور أخرى طائرات الهليكوبتر نوع «مي 17» أمام حظائر في شمال غرب القاعدة الجوية المصرية الجديدة، بتاريخ ٢٣ (فبراير) ٢٠١٧ و ١ (مارس) ٢٠١٧ [٧]

(٧) مصر تطورات المشهد العسكري ٣٠ أبريل ٢٠١٧ ، محمود جمال، الرابط



في تلك الأثناء كان حفتر وقواته يعانون في مواجهة المسلحين الموجودين في مدينة درنه الليبية، التي كانت توجد بها مجموعات من الفصائل العسكرية وعلى رأسهم مجلس شورى مجاهدي درنة المناوئة لخليفة حفتر، وشهدت مدينة درنه معارك شديدة في قوات حفتر والمسلحين الموجودين في مدينة درنة.

استغل النظام المصري الحدث الذي وقع يوم الجمعة الموافق ٢٦ مايو ٢٠١٧ م، بعد مقتل مجموعة من الأقباط في محافظة المنيا أثناء توجههم إلى دير الأنبا صاموئيل على يد أفراد من تنظيم الدولة الإسلامية، وأعلن عبد الفتاح السيسي عن أن القوات المصرية قامت بتوجيه ضربة لأحد المعسكرات التي تتدرب فيها هذه العناصر في درنة، مضيفاً أن مصر لن تتردد في توجيه ضربات ضد معسكرات الإرهاب في أي مكان، سواء في الداخل أو الخارج"، وأضاف أنه يجب معاقبة الدول التي تدعم الإرهاب وتقدم له المال والسلاح "من دون مجاملة أو مصالحة"[٨].

(٨) أبعاد العدوان العسكري المصري على ليبيا، محمود جمال، الرابط

بعد انتهاء السيسي من خطابه أعلن سلاح الجو المصري أنه شن غارات على ما سماه معسكرات إرهابية في ليبيا "من قبل طائرات من طراز الرافال"، وأضاف أن الغارات دمرت المركز الرئيسي لمجلس شورى مجاهدي درنة، وبثت وزارة الدفاع المصرية صورًا لطائرات حربية وقت الإقلاع في إحدى القواعد الجوية قالت إنها وجهت ضربة إلى معسكرات إرهابية في ليبيا. وفي نفس السياق أعلنت القيادة العامة لميليشيات "حفتر" أن ضربات الجيش المصري في درنة كانت بالتنسيق مع سلاح الجو الليبي بقيادة العميد صقر الجروشي. فيما أكدت مصادر أن الغارات المكثفة التى شنها سلاح الجو المصرى كانت بمشاركة سلاح الجو الليبى على مدينة درنة شرق ليبيا، تمهد لعملية برية ليبية أوسع ضد الجماعات الإرهابية[٩].

وفـي المقابل قالـت مصـادر عسكرية بمجلس شورى مجاهدي درنة شرقي ليبيا أن طائرات حربية قصفت منطقة الفتايح شرق درنة، استنكر مجلس شورى مجاهدي درنة وضواحيها قصف سلاح الجو المصري لمواقع آهلة بالسكان في مدينة درنة شرقي ليبيا، وأكد المجلس في بيانه أنه لا علاقة له بما حدث في مصر من اعتداءات على المدنيين العزل في المنيا.

وجدير بالإشارة هنا أن قبل القصف المصري على مدينة درنة وفي ١٧ مايو ٢٠١٧ م، قام رئيس أركان الجيش المصري السابق الفريق محمود حجازي ورئيس اللجنة المعنية بمتابعة الشأن الليبي سابقاً بأول زيارة له إلى الداخل الليبي؛ حيث زار الفريق محمود حجازي مدينة بنغازي شرقي ليبيا والتقى بخليفة حفتر، حيث ذكرت وكالة الأنباء الليبية في بنغازي أن "وفدًا يضم الفريق محمود حجازي ومدير المخابرات الحربية السابق اللواء محمد الشحات جاء لتقديم التهنئة بمناسبة الذكرى الثالثة لثورة الكرامة التي انطلقت لتحرير البلاد من قبضة الجماعات الإرهابية المتطرفة". ونقلت الوكالة عن مصادر عسكرية ليبية أن طائرة عسكرية خاصة حطت في مطار بنينا الدولي ببنغازي وعلى متنها الوفد الذي اتجه على الفور إلى مقر القيادة العامة في منطقة الرجمة[١٠]. ولذلك يرى البعض أن الضربة العسكرية التي قامت بها القوات الجوية المصرية كانت قد أُعد لها مسبقًا وبترتيب وتنسيق بين الجانبين المصري والليبي.

(٩) القيادة العامة للجيش الليبي: ضربات الجيش المصري في درنة كانت بالتنسيق مع سلاح الجو الليبي، وكالة سبوتينك، ٢٦ مايو ٢٠١٧ م، الرابط

(١٠) رئيس أركان الجيش المصري يزور بنغازي شرقي ليبيا للقاء حفتر، BBC ، ١٧ مايو ٢٠١٧ م، الرابط

في تلك الأثناء كانت القوات التابعة لخليفة حفتر تحاول التمدد في الجنوب الليبي، ولكنها قوبلت بمواجهة شرسة من القوات التابعة لحكومة الوفاق، فمع بداية شهر مايو ٢٠١٧ م، أصبح للقوات الموالية لحكومة طرابلس وبعض من المجموعات المسلحة الأخري شكل قوي وفعال وتحديدًا في الجنوب الليبي، وأصبحت تحقق مكاسب علي الأرض، وكانت آخر المعارك التي كبدت فيها تلك القوات خسائر كبيرة للقوات التابعة "لحفتر" الهجوم على القاعدة الجوية في الجنوب الليبي "براك الشاطئ"، والذي نفذته القوة الثالثة التابعة لوزارة الدفاع في حكومة الوفاق الوطني، وقوات تابعة لتنظيم القاعدة، وكانت حصيلة القتلى من قوات "حفتر" في ذلك الهجوم 141 شخصًا.

استغل النظام المصري بمعاونة الطيران الإماراتي حادث المنيا لتوجيه ضربات في الجنوب كتغطية جوية لتمدد قوات حفتر في المناطق الجنوبية، لذلك لم تقتصر الهجمات المصرية على ضرب مناطق في الشرق الليبي فقط في تلك الأثناء؛ بل امتد القصف إلى مناطق في الجنوب أيضًا، حيث قصفت طائرات حربية مصرية وإماراتية فجر يوم الأحد الموافق ٢٨ مايو ٢٠١٧ م، مدينة هون جنوبي ليبيا، وكشفت مصادر محلية ليبية أن طائرات حربية مصرية أو إماراتية، أغارت على مواقع مدنية في مدينة هون بمنطقة الجفرة، انطلاقًا من مطار راس لانوف العسكري الذي تسيطر عليه قوات حفتر، وأضافت أن مخزن ذخيرة لقوات البنيان المرصوص التابعة لحكومة الوفاق الوطني "السراج" تعرض بدوره للقصف، مما أدى إلى انفجار الذخائر الموجودة في المكان المستهدف.[١١]

---

(١١) غارات جوية جنوبي ليبيا بعد قصف مصري لدرنة، الجزيرة نت، ٢٨ مايو ٢٠١٧ م، الرابط



بعد الضربة الجوية التي نفذتها القوات الجوية المصرية في مايو ٢٠١٧ م، أرسل الجيش المصري قوات برية مصرية إلى الداخل الليبي، إذ قالت بعض المصادر العسكرية إن وحدة من القوات الخاصة المصرية وصلت بالفعل إلى معسكر لملودة بالقرب من مدينة درنة، وشاركت في العملية العسكرية التي اقتحمت المدينة، وأعلنت مصادر أمنية أخرى وصول قوات خاصة من وحدات المظلات والاستخبارات العسكرية المصرية لمعسكرات القبة، وشاركت أيضًا في العمليات العسكرية التي شنتها قوات خليفة حفتر على مدينة درنة[١٢].

يؤكد ذلك أيضًا ما قاله عصام الزبير المحلل السياسي الليبي حول وجود قوات مصرية برية بمعسكر لملودة الليبي، شاركت في الهجوم على مدينة درنة، مؤكدًا أن شخصيات مقربة من حفتر أفصحت عن هذه المعلومات[١٣].

أيضًا يجب الإشارة هنا إلى ما نشرته نشرت صحيفة اليوم السابع في (١٢ فبراير ٢٠١٨)، إذ أجرت الصحيفة في ذلك التاريخ حواراً مع عقيلة صالح رئيس مجلس النواب الليبي بطبرق، وكشف "عقيلة" أثناء اللقاء أنه قريبًا ستُحرر مدينة درنة الليبية الكائنة بالشرق الليبي وهذا سيكون بالتنسيق مع السلطات المصرية؛ لأن العملية العسكرية التى ستنطلق تهم مصر كي لا تفر مجموعات إرهابية إلى الأراضي المصرية، في ظل وجود متطرفين في درنة.[١٤]

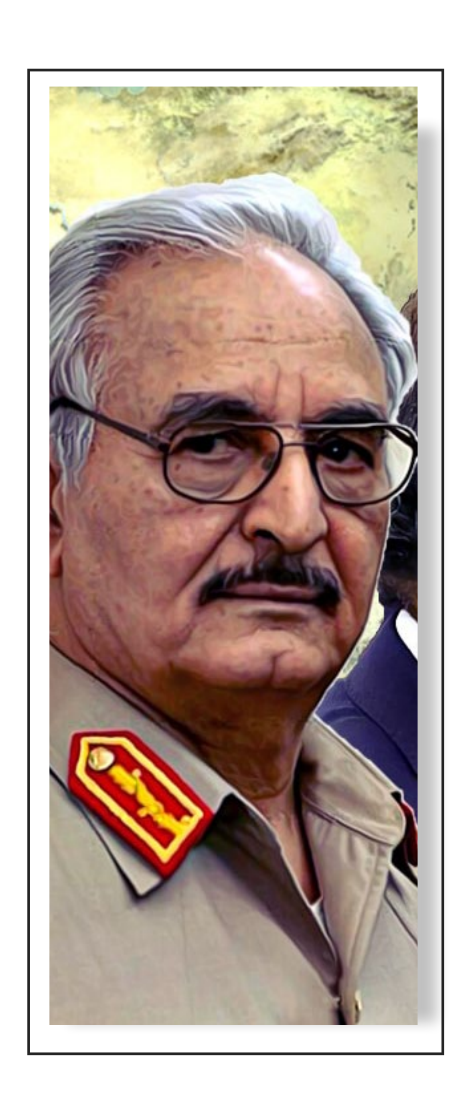
---

(١٢) حفتر يحضر لعمل عسكري بري بدعم مصري و"الرئاسي" يحدد ٧ مناطق عسكرية، العربي الجديد، ٢ يونيو ٢٠١٧ م، الرابط

(١٣) عصام الزبير لـ"الشرق": قوات مصرية بمعسكر لملودة الليبي تستعد للهجوم على درنة، الشرق القطرية، ١٨ مارس ٢٠١٨ م، الرابط

(١٤) رئيس البرلمان الليبى: سيف الإسلام القذافي في الزنتان.. نثمن دور مصر فى إعادة إعمار ليبيا.. عقيلة صالح لـ"اليوم السابع": الدستور أولًا ومصرون على إجراء الانتخابات خلال العام الجارى.. والسراج مفروض بـ"حكومة وصاية"، اليوم السابع، ١٢ فبراير ٢٠١٨ م، الرابط

كما تجب الإشـارة هنا أيضاً إلى مشاركة خليفة حفتر في حفل افتتاح قاعدة محمد نجيب العسكرية الكائنة بمدينة الحمّام غرب الإسكندرية في ٢٢ يوليو ٢٠١٧ م، وحضر حفل افتتاح القاعدة العسكرية إضافة إلى السيسي كلٌّ من محمد بن زايد وخالد الفيصل مستشار الملك السعودي أمير منطقة مكة وسلمان بن حمد بن عيسى الخليفة ولي عهد البحرين، ومحمد الخالد الحمد الصباح وزير الدفاع الكويتي، بالإضافة إلى حفتر.



وتُعد قاعدة محمد نجيب أهم قاعدة تدريبية تتلقى فيها قوات خليفة حفتر التدريبات العسكرية المتقدمة، ويرى البعض أن حضور بن زايد وحفتر حفل افتتاح قاعدتي محمد نجيب وبراني بجوار السيسي له دلالات قاطعة، تفيد بأن القاعدتين العسكريين جاءت لدعم مليشيات حفتر.

ثالثاً: الدور المصري في معارك الغرب الليبي

في شهر سبتمبر ٢٠١٤ م، أي بعد بداية عملية الكرامة بشهور قليلة، أعلن المؤتمر الوطني العام في ليبيا أن لجنة التحقيق في حادثة القصف الجوي الذي تعرضت له العاصمة طرابلس في أغسطس ٢٠١٤ ، قدمت تقريرها للمؤتمر الوطني، وأكد التقرير تورط الإمارات ومصر في قصف طرابلس [١٥] . وفي سياق متصل وتحديداً في ٢٣ أغسطس ٢٠١٨ م، اتهمت قوات "فجر ليبيا" الإمارات ومصر بشنّ غارات جوية على طرابلس، فيما تمكّنت قواتها من السيطرة على مطار العاصمة. وقال متحدث باسم جماعة "فجر ليبيا"، في بيان تلاه أمام صحافيين في طرابلس، إن "الإمارات ومصر متورطتان في هذا العدوان الجبان"، في إشارة إلى غارات جوية، كما اتهم الحكومة المؤقتة والبرلمان بالتواطؤ في الغارات[١٦].

(١٥) لجنة تحقيق ليبية: الإمارات ومصر متورطتان بقصف طرابلس، الجزيرة نت، ٢٢ سبتمبر ٢٠١٤ م، الرابط

(١٦) فجر ليبيا" تتّهم الإمارات ومصر بقصف طرابلس، العربي الجديد، ٢٣ أغسطس ٢٠١٤ م، الرابط

بعد سيطرة حفتر على أراضي المنطقة الشرقية بشكل كامل، أعلن في ٤ أبريل ٢٠١٩ م عن إطلاق عملية "طوفان الكرامة"، لتحرير العاصمة طرابلس ممن سماهم "الإرهابيين والمتطرفين"، لم يكن النظام المصري ببعيد عن تلك العملية أيضًا، وما جاءت تلك العملية إلا بعد قرار مصري إماراتي فرنسي وبدعم كامل.

وبخصوص التدخل المصري في المعارك الجارية في العاصمة طرابلس، يستطلع الطيران المصري ويرصد الأهداف من خلال طيران الاستطلاع الحربي المصري، بل وكما نقلت مصادر أن الطيران الحربي المصري شنّ خلال الأيام الماضية غارات جوية على بعض الأهداف في محيط مطار طرابلس، بمشاركة مع الطيران الحربي الإماراتي.

وزيـارة خليفة حفتر الأخيرة إلى القاهرة واجتماعه بالسيسي، جاءت للتنسيق للعمليات الجوية التي يشنها الطيران الحربي المصري على بعض الأهداف في العاصمة طرابلس، بالإضافة إلى تهديد أهداف بعينها تشارك فيها الطائرات الحربية الإماراتية الموجودة بالقواعد العسكرية المصرية وداخل الأراضي الليبية.

النظام المصري إلى الآن لم يتخذ قرار مشاركة القوات البرية الموجودة في الشرق الليبي في المعارك البرية الدائرة في العاصمة طرابلس، ولكن وكما نقل البعض أن إطالة أمد المعركة قد تدفع النظام المصري إلى قرار المشاركة البرية كما فعل في حسم الأوضاع لصالح حفتر في المنطقة الشرقية بعد ثلاث سنوات من المعارك وكان بنفس الأسلوب: مشاركة جوية أولاً ثم مشاركة بقوات على الأرض. ولكن طبقاً للدور الوظيفي للجيش المصري فإنه ينتظر القرار الدولي والإقليمي الذي يُوظّفه ويقرر له المشاركة في المعارك.



خلاصة:

التدخل العسكري المصري في ليبيا يندرج تحت الدور الوظيفي لمصر في الاستراتيجيات الأمنية الأمريكية في المنطقة، إذ ينفذ الجيش المصري هذا الدور مهما تعارض وتناقض مع المصالح المصرية، لأن مصلحة النظام تتحد مع المصلحة الأمريكية الإسرائيلية.

يبرر نظام السيسي سياسته في ليبيا بأنها تهدف لتعزيز الأمن القومي المصري لمنع وصول مسلحين من ليبيا، مما قد يتسبب في زعزعة أركان حكمه، ومن ناحية أخرى لتعزيز أركان حكمه بمنع وصول الإسلاميين للحكم في ليبيا، ويشارك السيسي في ذلك الاتجاه النظام الإماراتي بقيادة محمد بن زايد والنظام السعودي بقيادة محمد بن سلمان.

لذلك يعمل السيسي وبن زايد وبن سلمان مع فرنسا وبضوء أخضر أمريكي وأممي على الحسم العسكري لصالح حفتر، وتخريب أي عملية سياسية تتيح لحكومة الوفاق أي وجود داخل ليبيا.



كرم الحفيان

ملامح المشروع السياسي لطالبان

في ظل الكلام عن ثبات طالبان الطويل العجيب في مواجهة تحالف دولي عريض تقوده أمريكا، وبعد أن مررنا سريعًا على جذور وقيامة الحركة في المقالين السابقين، آن أوان رفع الستارعن المشروع السياسي للحركة (أحد أهم أسباب هذا الثبات) واستعراض أهم ملامحه وتفاصيله، خاصةً مع محاولة الكثير من مراكز التفكير ووسائل الإعلام (لاسيما الغربية) حشره في دائرتين لا ثالث لهما: التبعية لباكستان أو الحضانة للقاعدة، وسيظهر معنا في نهاية المقال مدى صدق هذه الدعاوى.

بداية لابد من الإشارة إلى ثلاث مقدمات ضرورية في تصور المشروع السياسي للحركة:

أولًا: دخول طالبان لعالم السياسة كان عفويًا بعد سيطرتها على الحكم في كابول، ولم يسبقه أي دراسة نظرية أكاديمية أو تنظير فكري سياسي من قادة الحركة.

ثانيًا: لم يحدث أي تغير ملحوظ في لب المشروع، إنما ازداد إطّلاع الحركة على الواقع السياسي الإقليمي والعالمي، وطوّرت أداءها وأدواتها في التعامل معه.



ثالثاً: التغير الذي طرأ على سياسة الحركة كان جُله في النواحي الاجتماعية والإعلامية التي كان الأصل فيها التشديد والمنع؛ كإلزام الرجال باللحى والنساء بالنقاب وعدم خروجهن إلا بمحرم وتحريم التصوير وحظر التلفاز.. إلخ

أما بعد، فلمشروع طالبان السياسي عشرة ملامح رئيسة نصفُها يخص الداخل ونصفها الآخر يتصل بالسياسة والعلاقات الخارجية..

الملمح الأول: قطع الصلة بالنظام السابق والقضاء على رموزه ومطاردة فلوله

والمقصود بالنظام السابق: النظام الشيوعي الحاكم قبل وأثناء الاحتلال السوفييتي، والذي بدأ بالتقاط أنفاسه وتجميع قوته والتسلل إلى بعض مفاصل الحكم نتيجة تصارع الأجنحة داخل "حكومة المجاهدين" قُبيل قيامة طالبان، فما كان من طالبان بعد سيطرتها على غالب البلاد إلا أن أخرجت الرئيس الشيوعي السابق نجيب الله من ملاذه وملجئه السياسي داخل مقر الأمم المتحدة بكابول، وأعدمته شنقًا في ٢٧ سبتمبر ١٩٩٦ م، ثم واصلت استهداف وتعقب قادة الشيوعيين وعناصرهم المؤثرة بلا هوادة.



الملمح الثاني: الهوية الإسلامية والنظام الإسلامي

صرحت الحركة منذ الاجتماع الشهير الحاشد لجموعٍ من العلماء المولوية على تخوم كابول في ٣ أبريل ١٩٩٤ م ومبايعتهم لزعيم الحركة ومؤسسها الملا محمد عمر حاكماً على البلاد، صرحت أن هدفها إعادة بناء أفغانستان المدمرة، وإقامة نظام إسلامي يطبق الشريعة الإسلامية ويمحو آثار الشيوعية ويحارب الرذيلة والفساد الأخلاقي، ويسعى لأسلمة الهيكل الوظيفي للدولة واقتصادها ونظامها التعليمي وصحافتها وإذاعتها وكل شيءٍ فيها.

الملمح الثالث: حكم الأغلبية الدينية والعرقية

يشكل المسلمون السُّنة ٩٠% من تعداد سكان أفغانستان مع وجود أقلية شيعية بنسبة تقل عن الـ ١٠ % وأعداد قليلة جدًّا من الهندوس، وتمثل حالة "الملالي" التيار الديني العام السائد في البلاد مقارنةً بالجماعات الحركية (الإخوان المسلمين)، ونظرًا لولادة حركة طالبان من رحم تيار الملالي وفي عمق مناطق قبائل البشتون التي تمثل غالبية داخل الغالبية السنية، فإن مشروع وحكم طالبان يمثل غالبية الغالبية الثقافية والعرقية في أفغانستان.



الملمح الرابع: قُطرية المشروع

خلال ربع قرنٍ مضى، هو عمر طالبان في حقبتي الحكم ثم مقاومة الاحتلال الأمريكي، تصر طالبان على أن نطاق تدخلها السياسي وعملها العسكري لا يتجاوز الأرض الأفغانية، وهي لم تقم وليست مسؤولة عن أي عمل عسكري خارج حدودها [١]، وهي لا تفتأ تؤكد أنها لا تسمح لأحدٍ باستخدام أراضيها لشن هجمات خارجية، [٢] وقد نبهت ضيفتها القاعدة كثيرًا إلا أن الأخيرة تجاهلت الأمر ووقع ما وقع[٣] ، وفي أثناء المفاوضات الجارية لترتيب الانسحاب الأمريكي في ٢٠١٩ م جددت طالبان تعهداتها لجميع الدول بمنع أي هجوم أو تهديد انطلاقًا من أفغانستان . [٤]

---

(١) انظر: متن موقف إمارة أفغانستان الإسلامية في المؤتمر البحثي بفرنسا، النقطة العاشرة، مجلة الصمود، ٢٥ ديسمبر ٢٠١٢ م.

(٢) انظر: الملا محمد عمر، بيان بخصوص عيد الفطر المبارك ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، النقطة ٢١ .

(٣) انظر: أبو حفص الموريتاني، لقاء اليوم هجمات سبتمبر / ج ١ ، سؤال : أليس هذا نتيجة منطقية للفكر الذي اعتنقتموه؟.

(٤) انظر: حوار جريدة الشرق الأوسط مع ذبيح الله مجاهد المتحدث باسم الامارة الإسلامية، السؤال الرابع: هل هناك نقاط شائكة

لا تكاد تمر عيناك على أي بيانٍ رسمي تشرح فيه طالبان أهدافها إلا وتجد عبارات مثل: الحفاظ على "المصالح الوطنية" و"الصبغة الأفغانية الخالصة" مقرونة بإقامة "النظام الإسلامي" وتنفيذ "الشريعة الإسلامية" (٥)، وتلحظ دون كثير عناء تأكيدها على أنها حركة أفغانية صرفة، وفي ٢٠١٦ م صرحت الحركة بعدم وجود مقاتلين غير أفغان بين صفوفها .(٦)



وبالرغم من وقوع قتال بين طالبان وأحزاب شيعية أفغانية موالية لإيران أثناء حكم الحركة فإنها لم تستهدف عموم الأقلية الشيعية، وفي الآونة الأخيرة فجّر انضمام مجموعات شيعية مقاتلة في مدينة باميان (معقل شيعة أفغانستان) لطالبان مفاجأة للجميع . (٧)

أما ملامح السياسة والعلاقات الخارجية للحركة فيمكن إجمالها في أربعة عناوين:

(١) النزعة الاستقلالية **(٢)** طول النفس في مواجهة التحديات والخصوم **(٣)** الدبلوماسية المتوازنة **(٤)** البراعة في استثمار التناقضات الدولية، وتفاصيلها كما يلي:

(٥) بين الطرفين..؟، صوت الجهاد (الموقع الرسمي لطالبان)، ١٢ فبراير ٢٠١٩ م.
(٦) انظر: الملا محمد عمر، بيان بخصوص عيد الأضحى المبارك ١٤٣٣ هـ / أكتوبر ٢٠١٢ م.
(٧) انظر: لا صحة لتقرير الأمم المتحدة عن وجود مجاهدين غير أفغان في أفغانستان.

باكستان

استفادت طالبان كثيرًا من الحلف الاستراتيجي والدعم الكبير من باكستان دون أن تتحول لتابع (والدليل تدمير أصنام بوذا رغم معارضة باكستان وكذلك عدم تسليمها شخصيات مطلوبة دولياً) وذلك لحاجة باكستان الماسّة لصداقة من يحكم أو له نفوذ كبير في أفغانستان في مواجهة الهند وإيران، بالإضافة إلى السمات الشخصية والنفسية لقادة حركة طالبان.

وفي المقابل، لم تصطدم طالبان بباكستان ولو كلاميًا رغم خيانتها لها وتعاونها مع الحملة الأمريكية العسكرية عليها، وانتظرت حتى هدأت العاصفة العالمية، وانشغلت بتجميع قواتها وفلولها، وأعادت ترتيب كيانها وجددت تحالفها مع أجنحة حكومية متعاطفة معها، وأخرى ناقمة على سياسة الأمريكية بعد الغزو.

إيران

لا يخفى على متابع الخلاف الفكري الكبير بين طالبان السنية وإيران الشيعية، وقد حاولت أمريكا عبر بعض الدول التابعة لها استدراج طالبان لحرب مع جارتها إيران [٨] في سيناريو مشابه للحالة العراقية زمن صدام حسين، وبالرغم من سياسة إيران العدائية تجاه طالبان فإنها رفضت توجيهها في هذا السياق.

وبعد أحداث سبتمبر، انحنت إيران للعاصفة الأمريكية ضد طالبان وفتحت لها مجالها الجوي، غير أنه مع ازدياد نفوذ الاحتلال الأمريكي في أفغانستان، استغلت طالبان تخوف ايران من حرب أمريكية محتملة عليها، ودشَّنت تحالفًا جديدًا معها، معربةً في ٢٠١٣ م عن رغبتها في علاقات اقتصادية واجتماعية وسياسية مشتركة [٩]، ومؤخرًا صرح المتحدث الرسمي باسم طالبان بتحسن العلاقات مع سائر الجيران (بمن فيهم إيران) ضمن تقدم غير مسبوق في العلاقات الخارجية داعيًا الجميع لدعم جهاد الشعب الأفغاني ضد المحتل الأمريكي [١٠].

---

(٨) انظر: أبو مصعب السوري، أفغانستان وطالبان ومعركة الإسلام اليوم، ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(٩) انظر: السياسة الخارجية للإمارة تمثل المصالح العليا للبلد، ١٧ يونيو ٢٠١٣ م.

(١٠) انظر: حوار الشرق الأوسط مع المتحدث باسم الإمارة ذبيح الله مجاهد.





الصين

تحتفظ طالبان بعلاقات جيدة مع الصين منذ التسعينيات، وقد سقنا في مقالٍ سابق قصة استفسار سفير صيني من الملا عمر عن دعم طالبان لتركستان يقاتلون حكومته، فأجابه الملا بالنفي وبيّن له سياسة طالبان بعدم السماح لأحد باستهداف الدول الأخرى انطلاقًا من أفغانستان. ومؤخرًا اعترفت الصين بطالبان قوة سياسية أفغانية . (١١)

الملمح السابع: التعامل المتحفظ مع الأمم المتحدة وقوانينها

انطلاقًا من إدراكها للضرورة السياسية والاقتصادية لتحصيل اعتراف قانوني دولي، سعت طالبان مرارًا وتكرارًا أثناء فترة حكمها للحصول على مقعد أفغانستان في الأمم المتحدة، وتقدمت بطلبات متكررة إلا أنها ختمت طلبها باشتراط عدم الالتزام بأي بند أو قرار يخالف الشريعة الإسلامية.

(١١) انظر: وكالة الأناضول، الصين تعترف بطالبان "قوة سياسة" في أفغانستان.

في هذه النقطة، تختلف سياسة طالبان عن الاتجاهين المنتشرين عند أغلب الجماعات الإسلامية المعاصرة (التي حازت سلطة ولو جزئية)، الاتجاه الأول يرى ضرورة الانضمام والعمل ضمن الهيئات الإقليمية والدولية والالتزام الكامل بقوانينها من باب الإكراه السياسي والحاجة الواقعية، والاتجاه الثاني يرى أن مجرد الانضمام لهذه الهيئات كفرٌ مخرج من الملة، لأن مواثيقها مخالفة للشريعة الإسلامية، وقراراتها غالبًا ما تكون ضد قضايا المسلمين.



أما الخط الثالث الذي تنهجه طالبان فهو التعامل والتواصل مع الأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية والدولية [١٢] واحترام القوانين والمواثيق العالمية التي لا تتعارض مع تعاليم الإسلام ومصالح الوطن.[١٣]

الملمح الثامن: العلاقة المتقلبة مع روسيا

قصة دراماتيكية مــن ثلاثة فصــول (لم تنتهِ بعد) جمعت طالبان وروسيا، في الفصل الأول جسّدت طالبان دور المقاومة العسكرية في مواجهة المحتل

(١٢) انظر: بيان حول افتتاح مكتب سياسي للإمارة الإسلامية في قطر، ٢٠١٣ م.

(١٣) انظر: الملا محمد عمر، بيان بمناسبة عيد الفطر ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، النقطة ٢١ .

السوفييتي في ثمانينات القرن الماضي، ثم بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، ووصول طالبان للسلطة في التسعينيات، استمرت الخصومة بين وروسيا وطالبان، وأخذت شكلًا جديدًا تمثل بدعم الروس لتحالف الشمال المعارض لطالبان، ودعم طالبان السياسي واللوجستي لحكومة الشيشان المستقلة حديثًا من روسيا والمتحاربة معها.

أما في الفصل الثالث الذي بدأت أحداثه من بضع سنين، ومع التعافي الجزئي لروسيا والتقاء مصالحها مع طالبان في مقاومة النفوذ الأمريكي في أفغانستان، وتمددها السياسي والعسكري الجديد في العديد من القضايا والملفات الإقليمية والعالمية (أوكرانيا- فلسطين - سورية - أفغانستان)، انقلب العداء إلى تحالف وأصبحت روسيا من الداعمين لطالبان، سواءً على صعيد الاعتراف السياسي من خلال دعوة طالبان للمؤتمرات التي تنظمها من حين لآخر حول القضية الأفغانية، أو عبر تزايد الأنباء عن دعمها عسكريًا.[١٤]

الملمح التاسع: العلاقة مع الدول العربية والغربية

عمدت طالبان منذ بداية حكمها إلى إقامة علاقات حسنة مع الدول العربية من باب الأخوة الإسلامية، وضرورة تعاضد أجزاء العالم الإسلامي ووحدة شعوبه، إضافةً إلى حاجة أفغانستان الملحة لمساعدات عاجلة للنهوض من حالة الفقر والدمار الذي خلفه الاتحاد السوفييتي.

(١٤) انظر: الجزيرة، اتهامات أمريكية لروسيا بتسليح طالبان، ٢٠١٧ م.

واللافت للنظر، أنه على الرغم من جهل طالبان السياسي (في بداية حكمها) بتركيبة ودور الأنظمة العربية الخطير في الولاء لأعداء الأمة والمحاربة لدينها وأخلاقها من جهة، ومحاولة بعض الأنظمة (خاصةً السعودية والإمارات) تطويع طالبان وسلخها من قيمها عبر استمالتها ثم مساومتها بملفات الإغاثة والإعمار والدعم الاقتصادي والاعتراف السياسي، فإن عزة حركة طلبة العلوم الشرعية ونزعتهم الاستقلالية فوتت على قوى الشر هذه الفرصة، دون أن يتطور الأمر لقطيعة سياسية، وبقت بعض العلاقات قائمة إلى الآن.

أما فيما يخص العلاقات مع الدول الغربية، فكما صرحت وتصرح طالبان دائمًا أن هدفها إقامة علاقات جيدة ومتوازنة مع جميع دول العالم.

الملمح العاشر: التفاعل المتواصل مع مختلف القضايا والحركات الإسلامية

فــي خضم المعــارك المستمرة وانخراط طالبان في حربين متتالين مع أقوى قوتين في العالم في مدة لا تتجاوز العقدين، مع ما صاحبهما وتخللها من مسؤوليات إدارية وخدمية وإغاثية جسيمة تجاه الشعب، لم تغِب عن صدارة خطابات طالبان "القضية الفلسطينية" وتحرير بيت المقدس والأقصى، وغالب قضايا التحرر أو الاضطهاد للمسلمين، من تركستان للشيشان فإفريقيا الوسطى وصولًا إلى العراق وسورية ومصر وغيرهم.

وفيما يتعلق بالجماعات الإسلامية، انفتحت طالبان على طيف واسع من الحركات على اختلاف توجهاتها الفكرية والسياسية والدعوية، بدءًا من الجماعة الإسلامية بباكستان مرورًا بالتنظيمات الجهادية بأفغانستان ووصولًا إلى حماس والإخوان المسلمين في مصر.

في أفغانستان، ورثت طالبان من مرحلة جهاد السوفييت وما تلاها ١٤ جماعة جهادية من بلدان مختلفة (إحداها القاعدة) مجموع أعدادها ١٤٠٠ شخصًا تقريبًا، وعلى الرغم من اختلافها الفكري والسياسي الكبير معها،

وأنها ليست هي من استقدمتها لأفغانستان (ولم تطلب يومًا من أي جماعة القدوم لأفغانستان) فإنها رفضت إرجاع أعضائها لحكوماتهم، وبخصوص قضية تسليم بن لادن ومفاوضاتها وملابساتها الكثيرة فأنصح الجميع بقراءة فصل "قضية أسامة" من كتاب "حياتي مع طالبان" للملا عبد السلام ضعيف، ففيها الكثير من تفاصيل الدبلوماسية المتوازنة لطالبان، بعكس ما يتصور الكثيرون.



أما عن نظرتها للإخوان، فلا تخفى الفوارق التاريخية والفقهية والأهداف التنظيمية بين الحركتين، وعلى الرغم من تنسيق بعض الأحزاب الإخوانية الأفغانية مع الأمريكان ضد طالبان، فإن هذه التجربة المريرة لم تدفعها لتعميم الصورة وتبني موقف موحد من الجميع لاشتراكهم في الفكر والتنظيم الأم.

تلزم طالبان نفسها وتجهر بمشروعها وترى أنه بمقدورها إقامة نظام إسلامي خالص عقب خروج المحتل، غير أنها مع فوز مرسي بانتخابات الرئاسة في ظل دستور علماني، استبشرت وهنأت الشعب المصري بـ"القيادة الإسلامية الجديدة"، وعدّت ذلك تحولاً كبيراً وأقوى ضربة للمشروع الأمريكي والصهيوني في المنطقة والعالم (ربما كان سيكون ذلك لو أخذ مرسي وإدارته الكتاب بقوة)، وطالبت "الشعب المسلم والرئيس الإسلامي" بالاستفادة من هذا "النصر التاريخي"

في الدفاع عن الأمة الإسلامية [١٥]، ثم نددت بالانقلاب عليه وبجرائم الجيش والأمن، وطالبت برجوع "الرئيس الشرعي المنتخب" لسدة الحكم، ودعت الأمم المتحدة، ومنظمة المؤتمر الإسلامي، والعلماء والدعاة، وجميع العالم، بعدم الاكتفاء بالتنديد بالجرائم والاعتقالات، بل باتخاذ خطوات جادة لمنعها.[١٦]

خاتمة



حاولت هذه المقالة رسم صورة شاملة وموجزة لملامح المشروع السياسي لحركة طالبان، ذلك المشروع الـذي كان أحد أهم أسباب: ثبات الحركة في الميدان العسكري في مواجهة تحالف دولي ضم ما يزيد عن أربعين دولة، وتثبيت واستثمار الإنجازات العسكرية وتحويلها لمكاسب سياسة صلبة، وهذا لأنه نظر إلى ما في يديه من إمكانات وأوراق قوة عسكرية وسياسية وشعبية، ثم نظر إلى حال الأمة الإسلامية وتموضعها ضمن خرائط القوى الإقليمية والعالمية، ثم وضع خطته الواقعية الممكنة بعد التوكل على الله.

كانت أبرز ملامح المشروع: القضاء على رؤوس وأركان النظام السابق، إسلامية المشروع، حكم الأغلبية، قُطرية المشروع، وطنية المشروع، النزعة الاستقلالية، تصفير المشاكل مع دول الجوار، الحلف الاستراتيجي مع باكستان، الدبلوماسية المتوازنة، التعامل المتحفظ مع الأمم المتحدة وقوانينها وقراراتها، استثمار تضارب مصالح القوى الدولية وحرب النفوذ المستمرة.

---

(١٥) انظر: بيان الإمارة الإسلامية حول فوز مرشح الاخوان محمد مرسي، ٢٦ يونيو ٢٠١٢.

(١٦) انظر: بيان الإمارة الإسلامية حول المجازر المستمرة بمصر، ١٥ أغسطس ٢٠١٣م.



مـــادة حصريـــة

مذكـرات الشيـخ رفاعي طـه (١٥)

من مؤسسي
الجماعة الإسلامية المصرية

سجلها عنه وحررها محمد إلهامي

هكذا تشكلت زعامة صلاح هاشم مؤسس الجامعة الإسلامية المصرية

- انتقلت مـن الصوفيـة إلى عقيـدة أهـل السنـة على يد الشيخ عبد الله السماوي!
- بدأ العمل قبل التفكير والتخطيط، وأول ما فعلنا: منع إقامة حفل فاسد بالجامعة!
- كان الشيخ صلاح هاشم دمث الخلق مثالاً في الإيثار على نفسه!

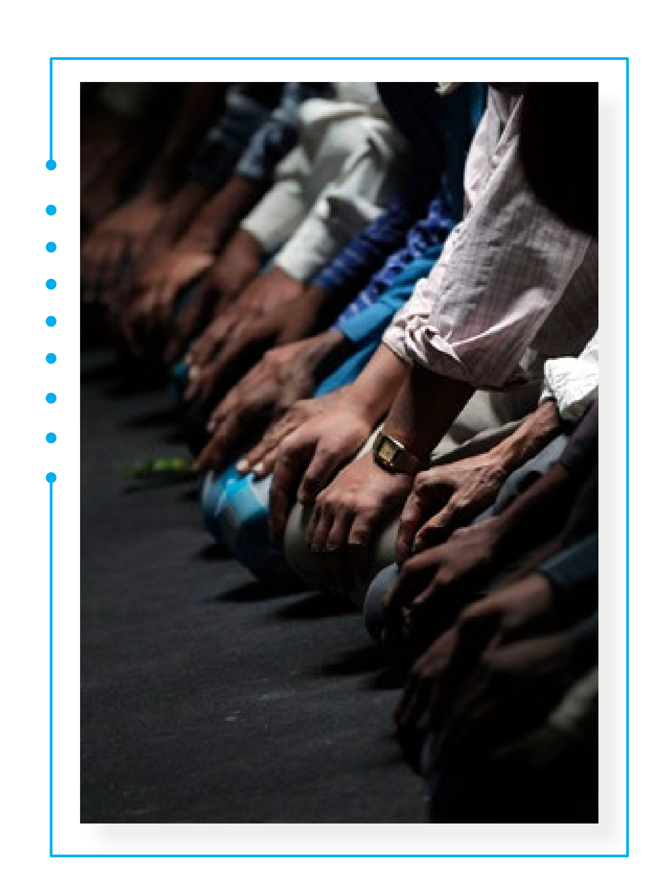
ذكرتُ في الحلقة الماضية كيف كان تعرفي على الشيخ عبد الله السماوي وكيف بايعته بعد أول خطبة جمعة سمعتها له، كان الرجل يدعو لدولة الخلافة وكنا نحب أن نكون رجال هذه الدعوة وهذه الدولة، لكن سرعان ما اختلف الأمر.

◄ كانت تمضي بنا الأيام ويزداد العمر وينظر المرء خلفه فيجد أنه لم يصنع شيئاً!

أول سؤال يخطر ببال القارئ: ما هي النشاطات التي كنتم تمارسونها في جماعة الشيخ السماوي؟ وأجيب: هـذه هي المشكلة، أنـه لم تكن ثمة نشاطات نقوم بها، ما هـو إلا أن يـأت الشيخ عبد الله السماوي فنجتمع حوله، فيخطب فينا ويعظنا ويحدثنا ويبث فينا ما يثير فورة حماستنا وعزمنا وإصرارنا، ثم تنتهي الجلسة فينتهي معها كل شيء!

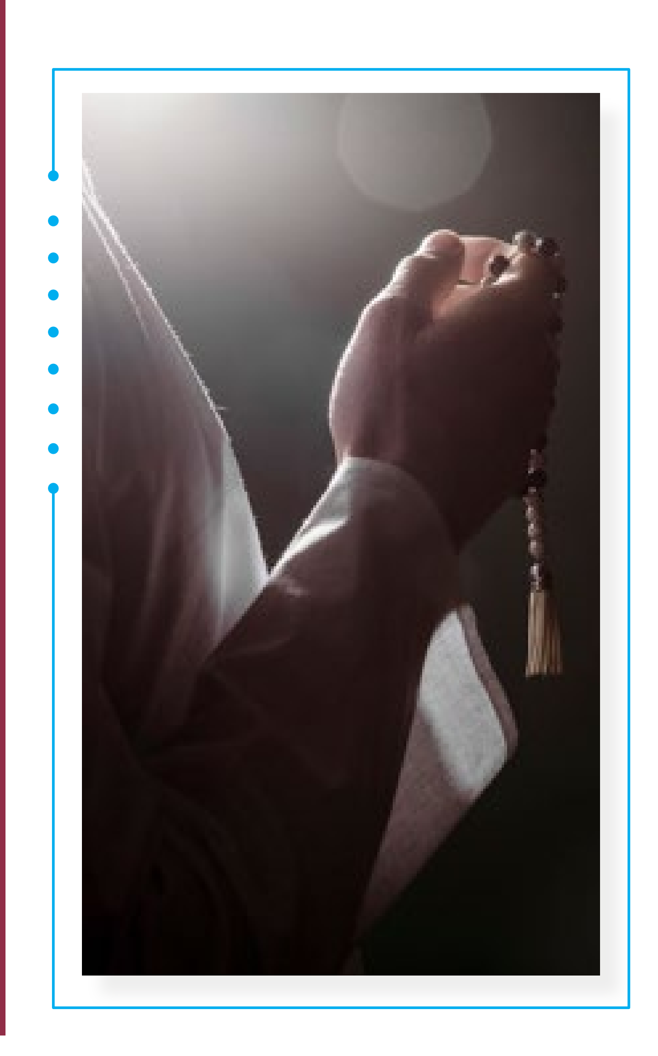
كان أمير مجموعتنا في الجامعة هو صديقنا عبد التواب طه أحمد الذي عرفني بالشيخ أول مرة، ومع هذا لم نفعل شيئًا في الجامعة، بل لم نتخذ لأنفسنا اسمًا، إنما نعرف بعضنا كمجموعة الشيخ عبد الله السماوي. وهكذا كان يفتر حماسي بمرور الوقت بسبب هذه "البطالة"!، لم يكن الشيخ رحمه الله يُوَظِّف أتباعه توظيفًا حسنًا، كانت تحت يده عشرات الشباب في الجامعة، ولكن إجابته الوحيدة تقريبًا على حماسة الشباب التي تسأل عن العمل أن يقول: أول الواجبات نتعلم العقيدة الصحيحة!

وهـو، والحـق يقـال، ممتاز في باب العقيدة، وأنا أعـدّ نفسي تلميذه في هذا الباب، وقد قرأنا في مجموعته "العقيدة الطحاوية" وشُرِحَتْ، وقـرأنـا مـجـمـوعـة التوحيد وشُرِحت لنا، وكتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وشرح لنا، وهكذا.. وبهذه الكتب والشروح انتقلتُ نقلة حقيقية وقـويـة مـن الـصـوفـيـة إلـى الالتزام بأهل السنة والجماعة وعقيدتهم: العقيدة الطحاوية.



كان رحمه الله مثالًا للسلفي الحق، كان سلفيا مجاهدًا أو مقاومًا، ليس مثل أولئك الذين شوهوا صورة السلفيين، أعني: حزب النور وفريق الإسكندرية هذه الأيام ، وبالمناسبة: فلم تكن بداية سلفية الإسكندرية على هذا النحو الذي وصلوا إليه الآن، بل كانت مجموعة محمد إسماعيل المقدم مجموعة ممتازة، ولم يكن ثمة اختلاف كبير بيننا (نحن الجماعة الإسلامية فيما بعد) إلا ما يرونه أننا استعجلنا في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكن لهذا حديث مؤجل إن شاء الله.

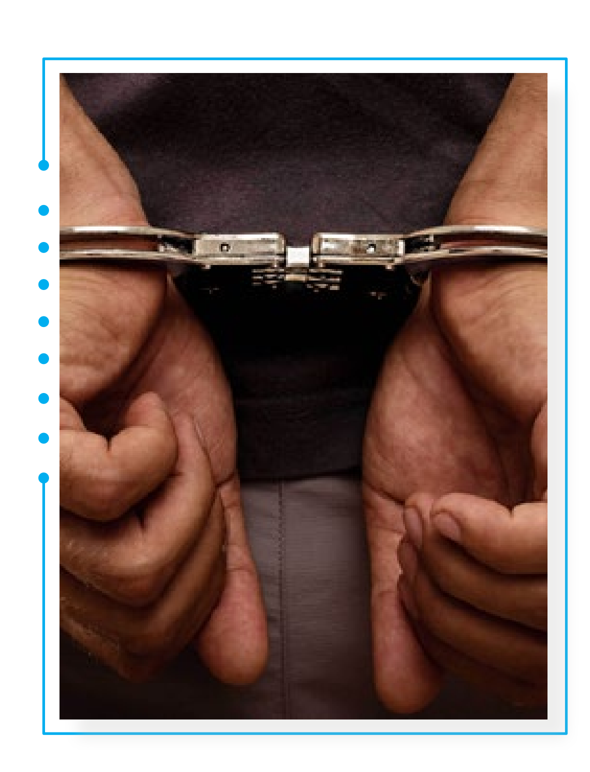
كانت مجموعة الشيخ عبد الله السماوي سابقة في الجامعة على أي مجموعة دينية، لا جماعة إسلامية ولا سلفيين ولا شيء، وكان أظهر وجود لها عندنا في جامعة أسيوط، ومع أن الشيخ السماوي مقيم في القاهرة إلا أنه كان يكثر من زيارة أسيوط.



وكان ثمة شيخ آخر شهير جدًّا لكن غاب عني اسمه الآن، وكان من جمعية أنصار السنة المعترف بها رسميًّا، لكنه كان رئيس جماعة أخرى "جماعة الحق"، وكان أيضًا من هذا التيار السلفي المقاوم، وكان يحث على العمل، لكن أهم ما أخذناه من العمل منه هو إعفاء اللحية، ولا أزال أتذكر مقولته في الحث على ذلك، فهو إن وجد شابًا حليقًا سأله نصف مازح "أيهما خير؟ الديك أم البِنِّيَّة؟!" (وهي الدجاجة)، فتصل الرسالة، فمن هذا الشيخ تعلمنا الالتزام بالسنة والهدي الظاهر.

في تلك الأثناء بدأ يتزايد ظهور المتدينين في الجامعة من غير المنضوين تحت "الجماعة الدينية" الرسمية في الجامعة والتابعة في حقيقتها لأمن الدولة، كان أولئك المتدينون من أمثالنا وأمثال غيرنا من المتأثرين ببعض الشيوخ. وأحببنا أن يكون لنا نشاط إسلامي حقيقي، ينفذه متدينون مخلصون أمثالنا غير تابعين لأمن الدولة! فمن هنا بدأ يكون لنا شيء من النشاط المستقل داخل الجامعة، فصرنا نفعل ما كنا ننفذه ضمن "الجماعة الدينية" التابعة للجامعة ولكن باستقلال عنهم، من نحن؟.. إلى هذه اللحظة لم نتخذ اسمًا ولا عنوانًا!

نقيم معرضًا للكتاب الإسلامي، نكتب مجلة الحائط، نبيع الزي الإسلامي للفتيات، أحيانًا نجمع من بعضنا مبالغ زهيدة بسيطة ثم نشتري هذا الزي ونوزعه مجانًا، إمكانيات محدودة، إلا أن فارقًا واضحًا بين هذا الزمن وبين هذا الواقع الآن؛ في ذلك الوقت كنت طالبًا ملتحيًا فما أن أذهب إلى صاحب بقالة أقول له: نحن نجمع تبرعات للزي الإسلامي للبنات أو لشراء مذكرات الجامعة للطلاب الفقراء أو لأي غرض آخر، إلا ويعطيني من المال دون تردد، كان مظهر المتدين في ذلك الوقت يساوي الثقة. قد يعطيني التاجر خمسين قرشًا، وكان هذا في ذلك الوقت مبلغًا له قيمته. كذلك فقد كان في الناس خير وبذل وعطاء يبدو أنه غاض الآن!



كانت اللحية والقميص (الجلابية باللهجة المصرية) تُسَرِّع من تعارف المتدينين الجدد إلى بعضهم، ولم يكن أعضاء "الجماعة الدينية" الرسمية التابعة للجامعة يهتمون باللحية ولا الهدي الظاهر، بينما تمسَّكنا نحن بهذا، وكنا ندخل إلى الجامعة على هذه الهيئة، بل كان هذا القميص (الجلابية) من أهم أسباب القبض عليّ فيما بعد، ومنعي من دخول الامتحانات أربع سنوات.

بينما نحن كذلك إذ تناهى إلى مسامعنا أن شابًا اسمه صلاح هاشم (الذي سيكون فيما بعد أحد أهم أعمدة الجماعة الإسلامية المصرية) يعتزم منع حفلة تقيمها الجامعة، وسرى الخبر في الجامعة وفيه فحوى تقول: فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلينصر أخاه في منع هذا المنكر!

وبهذا نستطيع القول إن فاعلية النهي عن المنكر سبقت تكوّن الجماعة، سبق العمل التخطيط!

كانت الحفلة بمباركة عميد الكلية ورعاية رئيس الجامعة، ستأتي مُغَنِّيتان: خضرة وفاطمة سرحان، لم تكونا مشهورتين مثل مغنيات التلفاز والإذاعة لكنهما كانتا مشهورتيْن شعبيًا، من فئة المغنيات الشعبيات، وقد اتفق معهما اتحاد الطلاب لإقامة حفل في الجامعة، ووافق على هذا ودعمه العميد ورئيس الجامعة.

وكانت فكرة صلاح هاشم بسيطة، أن يستكثر من المتدينين في مكان الحفل، وأن يسبقوهم إليه، فيحضروا ويكاثروا حتى يكثروا ويغلب عددهم عدد الذين يريدون الحفلة فعلًا، ثم يشرعون في قراءة القرآن جماعة، هذا يقرأ ثم هذا ثم هذا، وهو ما كان.. سبق الشباب المتدين إلى مكان الحفل، أخذوا في تلاوة القرآن، ولم ينتهوا!



جاء العميد، وجاء من بعده رئيس الجامعة، وجاء من قبلهم ومن بعدهم غيرهم يستحثوننا أن ننتهي ونخلي المكان، ونحن ماضون في التلاوة كأن شيئًا لم يكن، ولم يكن بدٌّ من وقوع اشتباك فقد جاءوا يخرجوننا بالقوة، فاشتبكنا معهم، وحيث وقع اشتباك وعراك فقد فسد الحفل، المغنيتان خافتا، والناس الذين جاءوا للحفل انسحبوا بأنفسهم، وانتهى الأمر على هذا الحال. أفسدنا عليهم حفلتهم أو بالأحرى: أصلحنا الأمر وقوَّمنا اعوجاجه.

لم نكن ننوي الاشتباك إنما حسبنا أن بقاءنا سيحملهم على الملل والعودة عن قصدهم، ولكن عندما هوجمنا كنا مضطرين. وهم بهذا يتحملون مسؤولية إفساد أجواء حفلتهم!

أغلب الظن أن هذه الواقعة كانت في ربيع ١٩٧٦ م، في الفصل الدراسي الثاني من عام ١٩٧٦/١٩٧٥ م. قبل سنة واحدة من أول فوز "للجماعة الإسلامية" بانتخابات اتحاد الطلاب.

لكن أهم ما أسفرت عنه هذه الحادثة هو الزعامة التي تشكلت حول صلاح هاشم في الجامعة، لقد صار بهذه المبادرة والشجاعة زعيمًا بحكم الأمر الواقع، زعيمًا على المتدينين، على هذه الحالة الشبابية الإسلامية التي تتشكل في الجامعة. فكنا من بعدها إذا أردنا أن نفعل شيئًا ذهبنا إليه فعرضناه عليه، أو إذا أردنا مشاورة شاورناه، وهكذا.



كان الشيخ صلاح هاشم حينها فـي السنة الرابعـة والأخيرة من كلية الهندسة، هو ابن محافظة سوهاج، كان طيبًا للغاية، دمث الخلق جدًّا، كريمًا للغاية، مثالًا في الإيثار، ولقد شهدت منه في هذا قصة كلما تذكرتها وتخيلتها في ذهني سبق إليَّ البكاء:

في ذلك الوقت كنا بدأنا في إقامة المخيمات أو المعسكرات، في المساجد، وكنا نستعين على نفقاتها من تبرعات المحسنين كما ذكرت آنفًا، ولهذا فقد كان معظم ما فيها من الطعام الأمور البسيطة: الجبن والحلاوة الطحينية والعسل، فإذا اتفق وحضر أحدُ من أهل الخير مخيمًا من هذا فربما تبرع من عنده ببعض الأرز واللحم، ودائمًا ما كان هذا الطعام يكفي بالكاد عدد الطلاب الحاضرين في مخيماتنا، إذ كان العدد يصل إلى ثلاثمائة طالب ولا يقل عن مائة وخمسين.

كان صلاح هاشم مسؤول المخيم، وتحته مجموعة نسميهم "أمراء الحلقات"، وأولئك الذين يديرون المخيم، فبعضهم يقوم على شأن الطبخ وإعداد الطعام، وبعضهم يقوم على شأن التعليم: تلاوة القرآن والتفسير واللغة العربية والفقه.. إلخ! وأولئك الذين يديرون المخيم يأكلون بعد أن يأكل الناس، بعدما ينتهي الطلاب من الطعام، يجمعون من بقايا الطعام طعامًا لهم، لم تكن لدينا وقتها ثقافة التنظيم أو إبقاء بعض الطعام لمن يديرون المخيم، إنما كانوا هم ونصيبهم، فلئن بقي لهم طعام أكلوا وإن لم يبقَ لم يأكلوا.

أين صلاح هاشم هنا، مسؤول المخيم؟.. إنه آخر من يأكل، بعد أن ينتهي أمراء المخيم من أكلهم، هذا إن بقي له شيء يأكله. ولقد رأيته لا يقبل أن يأكل إلا آخر الناس ولو لم يبقَ له شيء إطلاقًا. كان مأكله في مكان تنظيف الأطباق إن وجد شيئًا!

لقد أكبرته جدًّا، وبمرور الوقت ترسخت بيني وبينه علاقة أخوّة عميقة، كانت بذرة لنشأة الجماعة الإسلامية المصرية.

لقراءة الحلقات السابقة

- تـــمـــهـــيـــد: موجز سيرة رفاعي طه كما أملاها
- الحلقــة الأولــى: طفولة بسيطة في قريــة مغمـورة بالصعيد المجهــول
- الحلقــة الثانيــة: أول الطريق إلـى المسجد، وأول الطريـق إلـى السياســة
- الحلقــة الثالثــة: أول صدمة فكرية، وأول تفكير في إقامة دولة إسلاميــة
- الحلقـة الـرابعـة: عندما فهمت معنى حديث النبي من ضابط أمن الدولـة
- الحلقة الخامسـة: عندما سمع أستاذي خبر إعدام سيد قطب أحرق كتابه وهو في الصومال
- الحلقة السادسة: قصتـــي مـــع التصـــوف
- الحلقة السابعة : قصـــة ثــورة فـــي المدرســة
- الحلقة الثامنة : كنت عضوا بالاتحاد الاشتراكي
- الحلقة التاسعة: كنا البديل لما لا يعجبنا
- الحلقة العاشرة: أخفقت خطة إقامة الدولة الإسلامية عند أول عقبة
- الحلقة الحادية عشر : هكذا شاهد جيلنا حرب أكتوبر وانكسرت أحلامه في التحرير
- الحلقة الثانية عشر : بعد حوار دافعت فيه عن الشريعة الإسلامية انضممت للتيار اليساري
- الحلقة الثالثة عشر : قصتي مع اليسار في الجامعة
- الحلقة الرابعة عشر : بيعتي للشيخ السماوي

رمضان شهر الانـتـصارات:

من غزوة بـدر إلى انـتفاضة مالابرم

صبغة الله الهدوي



الأمة التي لا تقرأ تاريخها لا تصوغ مستقبلها

" رغم مشقة الصيام على أنفسنا، رغم الجوع الذي يأكل أحشاءنا ويضيق أنفاسنا، هناك قصص روائع تحكي لك عن عمق هذا الشهر المبارك العظيم، ففي كل الأمم، توجد تواريخ خالدة وأيام لا تنسى ولا تمحى من سِفر حياتها، لما لها من أهمية كبيرة في توجيه مصيرها ومسارها . "

فللأمة الإسلامية أيام خوالد، وذكريات شواهد، حدثت في عمق هذا الشهر المبارك، موسم الخيرات والبركات، وإن سمينا هذا الشهر العظيم بشتى الأسماء مثل شهر الأمة، أو بشهر المواساة، أو بشهر التراويح، فإن هناك ترويايح أراحت أفئدة المسلمين وأزاحت عنهم عبأ الهموم والأزمات، فحقًا لهو شهر الانتصارات الكبيرة، التي غيرت وجه التاريخ وأجرته من جديد، بدءًا من غزوة بدر الكبرى وفتح مكة، ومرورًا بفتح الأندلس وفتح عمورية وعين جالوت، ونهاية بحرب أكتوبر العظيمة وما حدث في مالابرم -كيرالا جنوب الهند- التي قلما مستها أقلام الجرائد والإعلام العربي.

انتفاضة زاحفة هاجت ضد طغيان الحكومة الشيوعية التي رسمت خطة مشؤومة لاجتثاث جذور اللغة العربية من المدارس بهدف الإساءة إلى الأمة واستفزاز مشاعرها، حتى انتفضت أمة كيرالا عن بكرة أبيها وهاجت وثارت وأقامت ثورة كبيرة في السابع عشر من رمضان تجديدًا لذكرى غزوة بدر الكبرى، حتى ارتقى من المتظاهرين السلميين ثلاثة شباب غضة وسقط عدة جرحى، فتلك كانت معركة نبيلةٌ غايتها وبطولةٌ نهايتها.

فرمضان لا تضيق جدرانه لتكون معتاد المساجد، ومقيم الموائد، وتالي القرآن ومصلي التروايح؛ بل تتسع دائرته إلى عمق التاريخ المجيد، إذ كسر المسلمون شوكة الهوان وصنعوا من التعب والصعب أحلامًا ناضجة، وحطموا قيد المستحيل لحد أن أفاض هذا الشهر المبارك على هذه الأمة كل الانتصارات العظيمة التي لا تمحى أثارها ولا تبلى جدتها، فلنسِر برهة في ثنايا تلك المعارك فالأمة التي لا تقرأ تاريخها لا تصوغ مستقبلها.



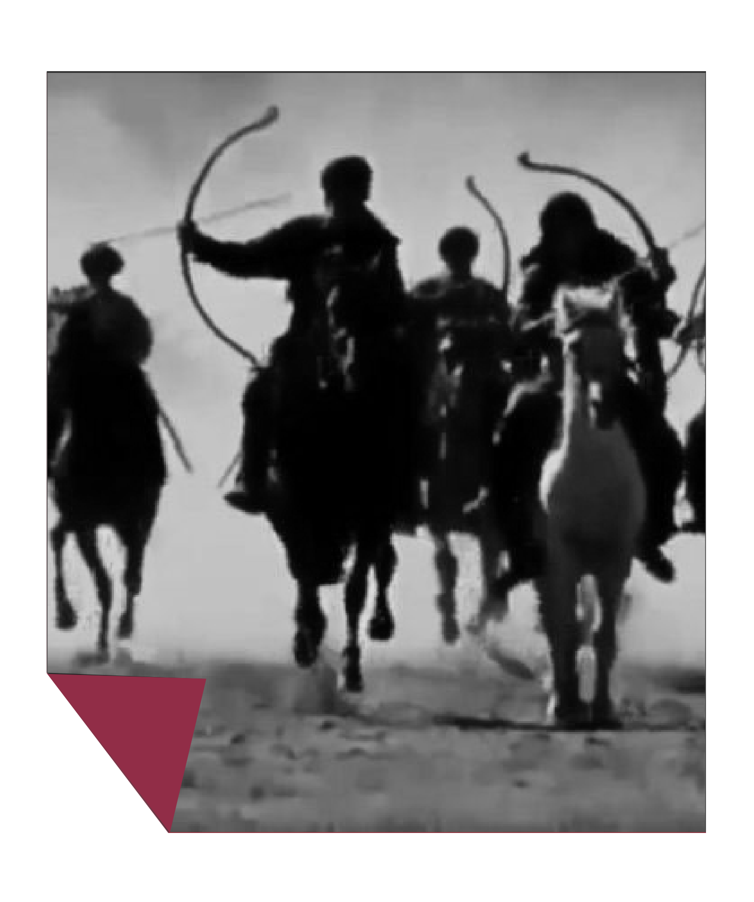
غزوة بدر الكبرى

أم المعارك الكبرى في تاريخ الإسلام العظيم، حدثت غزوة بدر الكبرى في ١٧ رمضان من العام الثاني للهجرة، فقاد النبي - صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة من أصحابه لاعتراض قافلة لقريش يقودها أبو سفيان بن حرب، إلا أن القافلة اتخذت طريًقا آخر، مما طمّع كبار قريش في الخروج من مكة والتخطيط لمواجهة المسلمين في معركة مباشرة، ظنًّا منهم أنها ستكون لهم نزهة عسكرية محضة.

كانت هذه المعركة هى الانتصار الأول للمسلمين في تاريخهم الحربي، وأكسب الانتصار في تلك الغزوة روحًا معنوية عالية للمسلمين، أعطتهم الثقة في أنفسهم لمواجهة أعدائهم من يهود المدينة الذين كانوا يكيدون للمسلمين، وكذلك مواجهة قريش، فإن القوة الروحية التي غذتهم بها غزوة بدر كانت سامية، حتى زال من قلوبهم الوهن وقذف في قلوب أعدائهم الرعب القاتل.

فتح مكة

في ٢٠ رمضان عام ٨ هجرية، قاد النبي صلى الله عليه وسلم ١٠ آلاف مقاتل لفتح مكة بعد أن نكثت قريش العهد، ودخل مكة بعد أن استسلم أهلها وعلى رأسهم سيد مكة أبو سفيان بن حرب، وكان فتح مكة هو بداية سيطرة الإســلام على الجزيرة العربية بأكملها إذ أثر تعامل الرسول مع أهالي مكة من الصفح والعفو الجميل تأثيرًا كبيرًا أدى إلى انتشار الإسلام بين العرب.



فتح الأندلس

وفي ٢٨ رمضان عام ٢٩ هجرية كانت جيوش المسلمين بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير تقرع أبواب أوروبا عن طريق الأندلس(إسبانيا والبرتغال حاليًا)، فعبر طارق بجيشه المضيق الذي عرف باسمه جبل طارق ليلاقي جيوش القوط ويهزمها في معركة وادي لكة والتي فتحت الباب أمام المسلمين لفتح شبه الجزيرة الأندلسية، حتى ظلت الأندلس عروس الأمة وبوابة ومعبرًا لدخول الإسلام في عمق أوربا.



فتح عمورية

في رمضان من العام ٢٢٣ هجرية، قاد الخليفة العباسي المعتصم بنفسه جيشًا كبيرًا لفتح عمورية بعد أن استنجدت به امرأة بقولتها المشهورة "وامعتصماه".

معركة عين جالوت

جاء المغول كالجراد المنتشر على حد تعبير الشيخ أبي الحسن علي الندوي من الشرق ليهدم في طريقه كل الحضارات والدول، فاحتلوا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين، ودمروا مكتبات بغداد حتى وصلوا إلى ديار الشام، لكن الله قيض لهم جيش مصر بقيادة الملك المظفر سيف الدين قطز وقائده الباسل ركن الدين بيبرس، حتى خيبوا ظنون المغول في معركة جالوت في ٢٥ رمضان سنة ٦٥٨ هجرية، وكان هذا الانتصار بداية فرار المغول من العالم الإسلامي.

حرب أكتوبر

وفي العصر الحديث نجد أن أعظم الحروب التي حدثت في رمضان هي حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، والتي وافقت العاشر من رمضان عام ١٣٩٣ هجرية، حيث هزم الجيش المصري أسطورة "الجيش الذي لا يقهر"، وأشعل في الجزيرة العربية والعالم الإسلامي تباشير الأمل والثقة في النفس، بعد أن خارت قوة الأمة وطار طيرها بعد النكبة الكبرى والنكسة النكراء.

انتفاضة مالابرم ١٩٨٠

هذا التاريخ الخالد لا تنساه ذاكرة مسلمي كيرالا ولا ينبغى أن ينساه كل من امتزج قلبه بالأمة الإسلامية وأحب اللغة العربية حباً جماً، إنه التاريخ الذي غير وجه كيرالا، والذي لم يطلع عليه الإعلام العربي لا قديمًا ولا حديثًا، وترى لك آثاره العصية على مر الزمان واضحة جلية في محطات الباص ومواقفها في منطقة مالابرم، مالابرم هي مقاطعة يشكل فيها المسلمون نسبة ستين في المائة، فللمسلمين في أرضها دور كبير سياسة واجتماعًا وثقافة وديناً، أمتها تمتاز بأخلاقها الشفافة وسلوكياتها السليمة التي لا تميل نحو التطرف والتشدد.



◎ وقد خابت المنظمات الإرهابية في تفكيك هذه المقاطعة المتراصة والتي تتمسك بعزة دينها وقوة وحدتها، حتى أصبحت هذه المقاطعة وحيدة في الميدان السلمي تقاوم كل من تربص بها من صناع الدمار والتخريب، بل عطفًا على ذلك قد قام بعض الإعلام الهندي الداعم لأهواء حزب بهارتيا جنتا المشوب لحمه بلحم التطرف الهندوسي في تشويه سمعة هذه المقاطعة وفي تصويرها في مرآة باكستان، حتى شاعت وفشت في بعض المناطق الهندية النائية شائعات لا أصل لها عن هذه المنطقة الشامخة، إذن ما هي قصة انتفاضتها حتى تكون مصنفة في قائمة الانتصارات الكبيرة في شهر رمضان، وما أهميتها ودورها الفاعل في تشكيل مستقبل الأمة لتكون جنبا بجنب لغزوة بدر الكبرى؟

◎ فـي ٣٠ يوليــو ١٩٨٠ السابع عشر مــن رمضان يــوم أن هاجت أمة كيرالا جمعاء، وحناجرها تصدح بعشقها الصافي للغة العربية، قلوبهم نابضة حية، وقد أثارتها تصريحات حكومة كيرالا عن إقصاء اللغة العربية ومعلميها من المـدارس، وكانت هذه التصريحات بمثابة قيامة كبيرة، فما كان لها إلا أن هبت وهاجت وثارت ثورتها الكبيرة التي لم تشهدها ولاية كيرالا في ذلك القرن، وكان لحزب رابطة المسلمين فرع كيرالا مشاركة فعالة في تحميس مشاعر الأمة وفي توعيتها عن هذا القرار الخطير الذي يبخس حق المسلمين لتعلم اللغة العربية التي كانت مدارهم ومعيارهم، وكان من شعاراتهم يومها "تريدون مال الخليج ولا تريدون لغته".

◎ وانتهت الانتفاضة السلمية بسقوط شهداء ثلاثة، وتراجع الحكومة عن قرارها المشؤوم، وكان لهذه الانتفاضة صدى واسع في توحيد صف المسلمين والانطلاق بهم إلى أفق التغيير، ولولاها كان مسلمو كيرالا تائهين وهائمين على وجوههم، بعيدين من ثقافتهم التي احتضنوها بصدورهم، وتخليدًا لتلك البطولة وتجديدًا لتلك الذكريات الباسلة سميت عدة مباني ومشروعات خيرية باسم أولائك الشهداء الأبطال الشباب، ويتذكرهم مسلمو كيرالا بكل احترام وإجلال، شبان ضحوا بحياتهم لإحياء اللغة العربية وإعادتها إلى ربوع مليبار، فكيف لا تكون امتدادًا لغزوة بدر الكبرى أمة استشهدت للغتها الدينية ووقفت في وجه طغاة الفاشية.

نشأة التمرد

(دليل الجيش الأميركي الميداني لمكافحة التمرد)*

مركز حازم للترجمة

لقد اتخذ التمرد أشكالًا عدة على مر الزمن؛ فالتمردات السابقة شملت النضال للحصول على الاستقلال عن القوى الاستعمارية، ونهوض الجماعات العرقية أو الدينية ضد خصومها، ومقاومتها للغزاة الأجانب؛ لذا على الدارسين والممارسين لمكافحة التمرد، البدء بفهم الملابسات المحددة لوضعهم الخاص؛ فتاريخ هذا الشكل من الحروب يوضح مدى تنوعها وكيفية تأقلمها ولماذا يتعين على الدارسين استيعاب أنه لا يمكنهم التركيز على مكافحة نوع واحد من التمرد.

لقد شاعت التمردات ومكافحة التمردات عبر التاريخ، ولكن منذ بداية القرن العشرين على وجه الخصوص، بدأت الولايات المتحدة الأمريكية هذا القرن بهزيمة العصيان الفلبيني المسلح. كما أسفرت الفوضى التي عمت أثناء وعقب الحرب العالمية الأولى عن العديد من الحروب الداخلية، إذ استولى تروتسكي ولينين بالقوة على السلطة في روسيا، ومن ثم دافعا عن النظام الجديد ضد القوى المعادية للثورة. واستخدم تي.إي. لورانس رفقة القوات العربية تكتيكات حرب العصابات للتغلب على الأتراك العثمانيين أثناء الثورة العربية.

◎ وقبل الحرب العالمية الأولى، اتسمت معظم التمردات بالثبات وعدم التغير؛ فظل المتمردون يهتمون دومًا بالدفاع عن المنزل، والوطن، وعن ممالكهم، ودياناتهم التقليدية. ونادرًا ما كانت الحكومات قادرة على هزيمة هذه الحركات بصفة تامة؛ وغالبًا ما كان يتكرر العنف عندما تصبح الظروف مواتية للمتمردين. فعلى سبيل المثال، شهدت الجزر البريطانية عددًا من التمردات الدورية من قِبل الشعوب المقهورة والمعتمدة على هوياتها العرقية. وتقدم الانتفاضة الإسبانية في مطلع القرن التاسع عشر ضد نابليون مثالًا آخر على التمرد المحافظ، إذ أوهنت القوة الفرنسية، وأسهمت بصورة كبيرة في هزيمة نابليون.

◎ منذ اندلاع الحرب العالمية الأولى، كانت للتمردات بصفة عامة أهداف أكثر ثورية؛ إذ أظهرت الثورة البلشفية في روسيا على سبيل المثال اتجاهًا يعكس تيارًا تآمريًا يسعى للإطاحة بالحكومة، وأفرزت بدورها حركة شيوعية دعمت إلى حد بعيد "حروب التحرر القومي". كما أن الخبرات التي اكتسبها لورانس خلال الثورة العربية جعلت منه بطلًا في نظر الكثيرين، وقدمت أيضًا بعض النظرات الثاقبة إلى يومنا هذا.

بدأ العصر الحديث للتمردات والحروب الداخلية بعد الحرب العالمية الثانية، فاستمرت العديد من حركات المقاومة ضد الاحتلال الألماني والياباني إلى ما بعد هزيمة دول المحور في عام ١٩٤٥ . وبظهور الحركات القومية تقلصت القوى الاستعمارية. وبدأت الشعوب بدافع من القومية والشيوعية بتشكيل حكومات رأت أنها أكثر استجابة لمطالبها. وبتطور التكنولوجيا المميتة، والقابلة للنقل بشكل دراماتيكي، زادت القوة النارية لدى الجماعات المتمردة، وزادت قدرة وسائل الإعلام الإخبارية على الاقتراب من الصراعات، وبث الصور الخبرية محليا وعالميا. وفي عام **١٩٢٠** ، ذكر تي.إي. لورانس أن "الصحافة المطبوعة هي أهم سلاح في ترسانة القائد الحديث". أما اليوم، فكان من الممكن له أن يضيف عبارة "المتمرد الحديث"، رغم أن الانترنت، ووسائل تخزين المعلومات المضغوطة مثل شرائط الكاسيت، والأقراص المضغوطة، والأقراص المرنة الرقمية **(DVD)** أصبحت أكثر أهمية خلال السنوات الأخيرة.

هكذا حولت أحـداث القرن العشرين أهـداف وسمات معظم التمردات، إذ إن أكثر التمردات التي وقعت خلال القرن التاسع عشر كانت محلية سعت لتثبيت الوضع القائم آنذاك، وبحلول منتصف القرن العشرين، صارت هذه التمردات قومية وثورية عالمية. وقد اعتقد كلاوزفيتز أن الحروب التي تقع بين السكان المسلحين قد يُنظر إليها بوصفها مجرد دفاع استراتيجي، بيد أن المنظرين أدركوا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أن التمرد قد يكون شكلًا حاسمًا من الحرب. وقد أفرزت هذه الحقبة أنماطًا من التنظيمات السياسية كالحزب الشيوعي الماوي، ونموذج شي جيفارا (من الأنماط الثورية التي تستخدم حرب العصابات)، وكذلك مقاربات حضرية (أي تمردات في المدن).

وفي الوقت الذي استطاعت أن تصمد فيه بعض التمردات من حقبة الحرب الباردة بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، ظهرت تمردات جديدة أخرى انبثقت من حروب أهلية أو دول منهارة لم تعد تُدعم من قبل القوى المتنافسة في الحرب الباردة. فغياب القوة يولد التمردات، كما تظهر مثل هذه الحالات عندما تتغير الأنظمة باستخدام القوة أو بحكم الظروف السائدة. ومؤخرًا فإن الأيديولوجيات المبنية على النماذج المتطرفة دينيًا أو الهويات العرقية، حلت محل الأيديولوجيات القائمة على معتقدات ثورية علمانية.

وهذه النماذج أو الأشكال الجديدة للمعتقدات القديمة الراسخة تعمل على تحديد هوية أعتى وأخطر المشتركين في هذه الحروب الداخلية الجديدة. وتلك النزاعات تماثل الحروب الدينية التي سادت أوروبا قبل وفي أعقاب حركة الإصلاح في القرن السادس عشر، حيث استبدلت الشعوب الهوية القومية المهملة بالمصادر التقليدية التي تمثل رمزًا للوحدة والهوية.

وعند مكافحة التمردات إبان الحرب الباردة، ركزت الولايات المتحدة الأمريكية على زيادة قدرة الحكومات الصديقة المهددة وغير المستقرة للذود عن نفسها، وشجعت على تبني الإصلاحات السياسية والاقتصادية من أجل تحجيم الدعم الموجه للتمرد، واليوم عند التصدي لتمرد ظهر نتيجة انهيار أو تفكك دولة، غالبًا ما تواجه قوات مكافحة التمرد مهمة أكثر تثبيطًا للهمة والعزيمة: ألا وهي مساعدة القوات الصديقة على إعادة تأسيس النظام السياسي والشرعية في أماكن ربما لم يعد فيها وجود لمثل تلك المسميات.

◎ إن الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات هما وجهان جديدان من أوجه موجة التمردات المعاصرة. فباستخدام الانترنت يستطيع المتمردون الآن الاتصال افتراضيًا بالجماعات الحليفة لهم في كل أنحاء البلاد أو المنطقة، بل وحتى في العالم كله. وغالبًا ما يلتحق المتمردون بتنظيمات فضفاضة ذات أهداف مشتركة، ولكن تعتريها دوافع مختلفة، ولا يربطها كيان مركزي يلزمها بقراراته، مما يجعل تحديد هوية قادة المتمردين أمرًا صعبًا.

◎ تشمل بيئة العمليات اليوم أيضًا نوعًا جديدًا من التمرد يسعى لفرض تغيير ثوري حول العالم؛ فعلى سبيل المثال، يعد تنظيم القاعدة مثالًا معروفًا عن هذا الشكل من التمرد؛ إذ يسعى التنظيم إلى تحويل العالم الإسلامي إلى نظام إسلامي، وإعادة تنظيم علاقاته مع الأقاليم والثقافات الأخرى. ومن الملاحظ ميل أعضاء التنظيم لتنفيذ هجمات انتحارية لتحقيق غاياتهم.

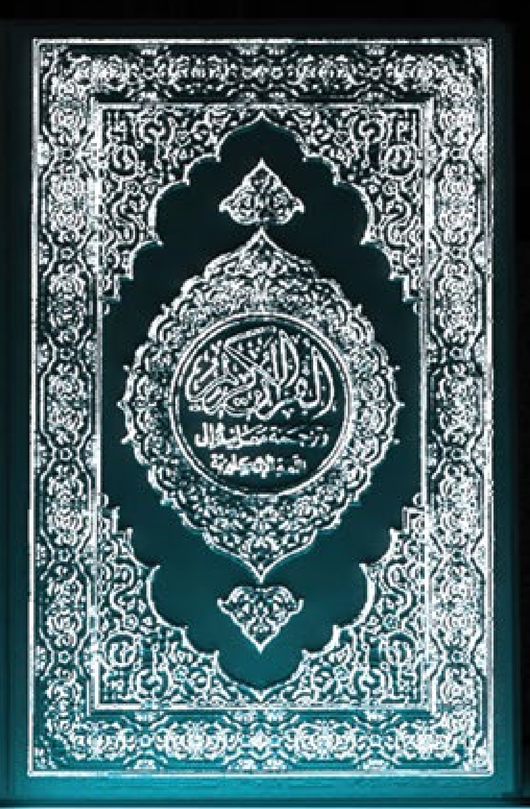
ومثل هذه الجماعات غالبًا ما تقتات على المظالم المحلية، ويعمل نموذج القاعدة الثوري على دعم القضايا التي يرى أنها تتماشى مع أهدافه من خلال تقديم الدعم المالي والمتطوعين والتعاطف والحملات الدعائية المستهدفة، وفي حين أن وسائل الاتصالات والتكنولوجيا المستخدمة في هذا الجهد غالبًا ما تكون جديدة ومعاصرة، فإن المظالم والطرق التي تدعمها ليست كذلك.

وكما في التمردات الأخرى، فإن الإرهاب والتخريب والدعاية والحرب المفتوحة ما هي إلا أدوات لمثل هذه الحركات، أما اليوم فقد ازدادت هذه الأدوات التي جرى تجريبها عبر الزمن بإتقان المتطرفين لتنفيذ الهجمات الانتحارية. وهزيمة مثل هؤلاء الأعداء تتطلب استجابة استراتيجية عالمية واحدة تعالج مجموعة الموارد والصراعات التي تديم هذه الحركات، بينما تُعالَج على المستوى التكتيكي المظالم المحلية التي تقتات عليها هذه التنظيمات.

دليل يحتوي توصيات ينبغي لسياسة مكافحة التمرد أن تسلكها، وهي السياسة التي اعتمدتها جهات صناعة القرار الأمريكية لتثبيت وشد أزر الحكومة المحلية في مواجهة حركات المقاومة.

وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا

سورة الفرقان الآية (٥٢)





تغييب دور العلماء

د. عطية عدلان

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله .. وبعد ..

هل هذا الزمان الذي نعيشه هو نفسه الزمان الذي أنذر به الحديث المشهور: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[١]؟ هل هو ذاته الزمان الذي قال في مثله القائل: "قُبِضت الفحولُ وهلكت الوعولُ، وانْقَرض زمانُ العلم، وخَمَدت جمرته، وهَزَمَتْه كَرَّةُ الجهل وعَلَتْ دولته، ولم يبق إلا صبابة نتجرعها، وأطمار نجتابها ونتدرعها"[٢]؟

---

(١) متفق عليه صحيح البخاري برقم (١٠٠) مسلم برقم (٢٦٧٣)

(٢) الوجيز للواحدي (ص: ٨٥)

لا أظنُّ ذلك، بل إنني على يقين من أنَّه ليس هو ذلك الزمان؛ لما سوف أذكره مما يُعدُّ مقدمة لما أريد أن أتحدث عنه.

فقد وردت أحاديث يفهم منها أن قبض العلم الذي لا يكون إلا بقبض العلماء سيكون في آخر الزمان، إمَّا ضمن أشراط الساعة، أو ضمن مقدمات أشراط الساعة؛ حيث تكثر الملاحم والفتن المؤذنة بخروج الدجال واشتعال فتيل الأشراط الكبرى، كما في حديث أبي هريرة مرفوعاً: «لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقْبَضَ العِلْمُ، وَتَكْثُرَ الـزَّلاَزِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الهَرْجُ..» [٣]، والواقع الذي نعيشه وإن بدا شبيها بما أنذر به الحديث الآنف يبقى مبايناً له في جوانب تمنع التطابق، فالحديث الأول يعتضد بالثاني في منع الانحراف بالفهم إلى ما يورث الإحباط ويؤسس للهروب المبرر.

كما أنَّنا في واقعنا الذي نحياه نرى العلماء الربانيين ملء السمع والبصر، لا يحصيهم العدّ ولا يحويهم الخبر، فليس للحديث إذاً عمل في زماننا هـذا إلا الدلالة "على أنه لا يؤتى الناس قط من قِبل العلماء" [٤]، وإنَّما يؤتون من قِبل أدعياء العلم المصنوعين الذين يحتلون الشاشات ويتربعون في (الميديا) بغرض حجب العلماء الحقيقيين وتغييب دورهـم، بالإضافة إلى الأغـراض الأخرى البادية للناظرين كبدو سـوأة القرود للغادين والرائحين.



(٣) صحيح البخاري (٢/ ٣٣)

(٤) الاعتصام للشاطبي ت الهلالي (٢/ ٥٧٤)

مِنْ هؤلاء نعاني، ومنهم تعاني الأمّة كلها ويعاني الإسلام نفسه، فكم من راكب فوق ظهر الدين استطاع بمعونة من أركبوه أن يحوز ثقة المسلمين، فلما سقط في الفتنة أو أُسقط فيها انهارت ثقة الناس في العلماء جملة؛ وربما انهارت ثقتهم في الدين نفسه؛ ولا يدري الناس أنَّ هؤلاء (العملاء) ما صنعوا ولا صنعت لهم السمعة والشهرة إلا لأهداف يأتي هذا الهدف في مقدمتها، أمَّا العلماء الربانيون فهم مغيبون، وللتغييب فنون عند من يمارسونه على العلماء، لا تقل خبثًا وإجرامًا عن الفنون التي يمارسون بها إحلال العملاء محل العلماء!!



أَوْضَحُ هذه الفنون وأَصْرَحُها: السجن والاعتقال والقتل والاضطهاد والنفي والإيقاف عن العمل وحظر الحركة وغير ذلك من وسائل القمع السافر، ووراء هذه الفنون فنونٌ أخرى أكثر خبثًا وأفدح أثراً، منها فنُّ الإلهاء، وهو فنّ يركز على شَغْل العلماء بأمور شكلية وتضييع أوقاتهم في أنشطة هامشية، مع إيهامهم بأنهم يخدمون الإسلام، أو على أقل تقدير يقومون بما يُستطاع تجاه دينهم وأمتهم؛ لذلك يعجب كثير من العقلاء من ظاهرة التباين الشديد بين ضآلة وضحالة المخرجات وقصورها وعجزها وبين ما أنفق في سبيلها من أوقات العلماء وجهودهم وأموال الأمة ومقدراتها، وذلك إذا ما قَيَّموا مؤتمرا من المؤتمرات التي تُفتح لها حسابات البنوك وباحات الفنادق على مصاريعها.

وهناك فنَّ أغوص وأعوص، لا تستطيع أن تحدد ملامحه ولا أن تمسك بخيوطه، فالذي يبدو منه أنه عملية تسخير للإمكانات المادية في تقديم من يستحق التأخير وتأخير من حقه أن يكون مقدماً، فأنت لا ترى شيئا ولا تحس بشئء؛ بينما تُفاجأ بمرور الأيام بأنّ إمكانات لا محدودة من مقدرات المسلمين تحت تصرف فئة تمارس باسم التنوير علمنة الإسلام من داخله، هذه الفئة أو تلك الفئات لم تكن في أصلها منسوبة للعملاء المصنوعين، ولا هي ترضى لنفسها أن تكون كذلك، ولا تستطيع أنت أن تحكم عليها بالإخراج التام من زمرة المفكرين الأعلام، ولكن هكذا تصنع الساحرة "العملة الخضراء"!! وتفاجأ كذلك بأنّ الدنيا تفتح لهم أبوابها، فإذا هم يسيحون في الأرض مُلْهِمين ومُنَوِّرين، بينما في المقابل لا يجد العلماء منبرا يبثون فيه شجونهم إلا القليل من المواقع على خوف أن تغلق أبوابها دونهم !!



لماذا يجري تغييب دور العلماء بهذه الكيفية التي يبدو أنها ليست عفوية ولا ينقصها الترتيب والتدبير؟ لا بد أنّ العلماء دور كبير يراد للأمة ألا تظفر باستحقاقه، ومن أعظم ما منيت به الأمّة في واقعها المعاصر بل ربما من وقت مبكر في تاريخ الأمة أنّ الدور الكبير المنوط بالعلماء تعطل إلى حد كبير حتى لم يبق منه سوى اجتهادات وقتية ومواقف فردية لا تفي بالغرض إلا بقدر ما تروى الأرض الجرداء الجدباء قطرات متقطعة من ماء السماء.

إنّ العلماء ليسوا مجرد دعاة ووعاظ ومعلمين ومرشدين، وإنما هم إلى جانب ذلك أولياء أمر المسلمين، وهم صلب أهل الحل والعقد الذين يناط بهم سياسة الأمة وتوجيه أحداثها وصناعة حاضرها ومستقبلها، وهم الذين عناهم الله بالدرجة الأولى في الآيات التي تأمر بالطاعة لأولى الأمر وردِّ الأمور إليهم في سلمهم وحربهم وفرحهم وكربهم، فمن هذه الآيات: قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فهذه الآية الكريمة تأمر المسلمين بطاعة أولى الأمر، وهذا يعني أن لهم نفوذا وسلطانا، وأولوا الأمر هنا هم: «أصحاب الأمر وذووه، وهم الذين يأمرون الناس، وذلك يشترك فيه أهل اليد والقدرة وأهل العلم والكلام؛ فلهذا كان أولوا الأمر صنفين: العلماء والأمراء» [٥].

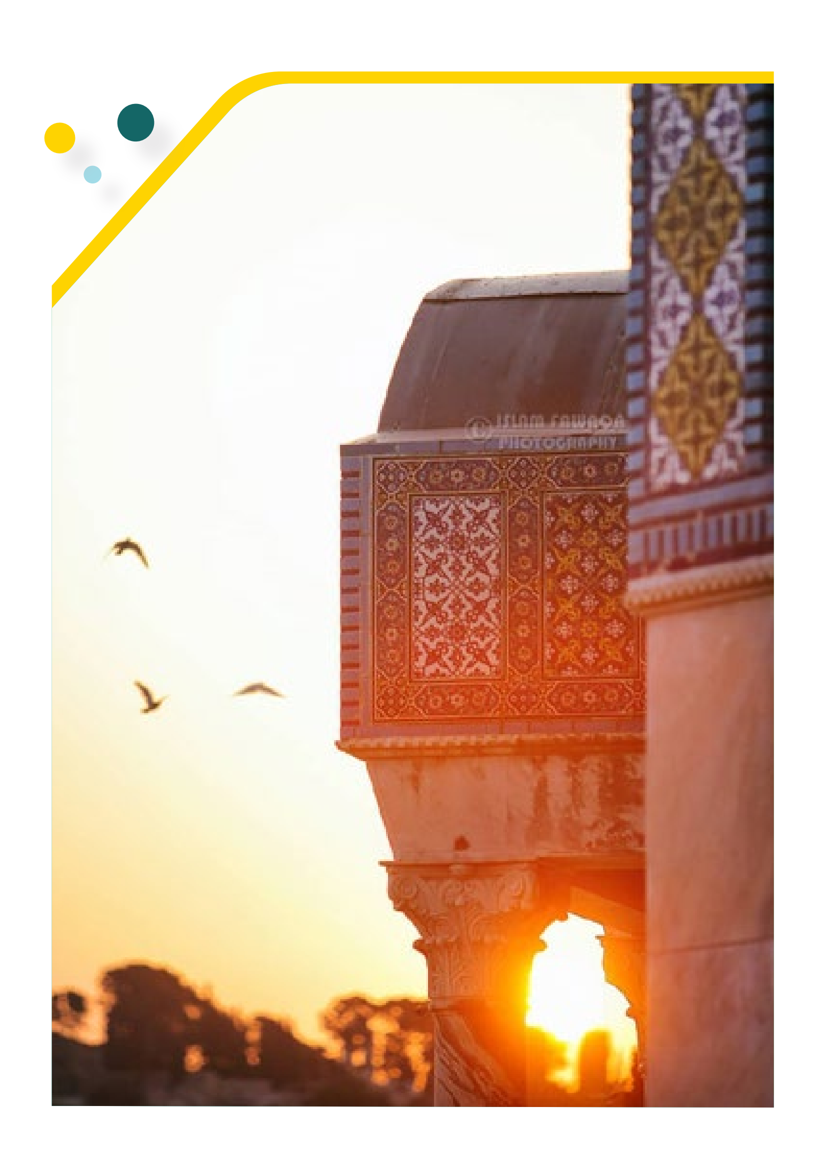


يقول الإمام أبو بكر بن العربي: "والصحيح عندي أنهم الأمراء والعلماء جميعا، أما الأمراء فلأن أصل الأمر منهم والحكم إليهم. وأما العلماء فلأن سؤالهم واجب متعين على الخلق، وجوابهم لازم، وامتثال فتواهم واجب ... وقد سماهم الله تعالى بذلك فقال: ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ﴾... فأخبر تعالى أن النبي حاكم «والرباني حاكم»، والحبر حاكم، والأمر كله يرجع إلى العلماء؛ لأن الأمر قد أفضى إلى الجهال، وتعين عليهم سؤال العلماء ..."[٦].

---

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٧٠/٢٨)، والاستقامة لابن تيمية (٢٩٥/٢).

(٦) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله (ابن العربي) (٥٣٤/١) دار المنار القاهرة ط أولى ٢٠٠٢



ويقول الإمام الجصاص:

بعد أن ذكر خلاف العلماء حول أولى الأمر: أهم العلماء أم الأمراء: "ليس بممتنع أن يكون هذا الأمر للفريقين... إذ ليس في تقديم الحكم بالعدل ما يوجب الاقتصار بطاعة أولى الأمر على الامراء دون غيرهم"[٧] بل إن قوله تعالى بعد ذلك «فإن تنازعتم في شي فردوه إلى الله الرسول» يدل على أنهم العلماء لأنهم الذين يعرفون كيفية الرد على كتاب الله وسنة رسوله.

ويقول ابن عاشور مبينا طريق ثبوت صفة ولاية الأمر: "وطريق ثبوت هذه الصفة لهم إمّا الولاية المسندة إليهم من الخليفة ونحوه، أو من جماعات المسلمين إذا لم يكن لهم سلطان، وإمّا صفات الكمال التي تجعلهم محلّ اقتداء الأمّة بهم وهي الإسلام والعلم والعدالة. فأهل العلم العدولُ من أولي الأمر بذاتهم لأنّ صفة العلم لا تحتاج إلى ولاية، بل هي صفة قائمة بأربابها الذين اشتهروا بين الأمّة بها، لما جرب من علمهم وإتقانهم في الفتوى والتعليم" [٨].

(٧) أحكام القرآن للجصاص، أبو بكر أحمد الرازي (الجصاص)، دار الفكر ط أولى ٢٠٠١ (٢٩٨/٢).
(٨) التحرير والتنوير(٩٨/٥).

ومنها قول الله تعالى: وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا [النساء: ٨٣]، وأولو الأمر هنا أيضاً هم الأمراء والعلماء، يقول الإمام الجصاص: "قوله تعالى: وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ. قال الحسن وقتادة وابن أبي ليلى: «هم أهل العلم والفقه»، وقال السدي: «الأمراء والولاة»، قال أبو بكر: يجوز أن يريد به الفريقين من أهل الفقه والولاة لوقوع الاسم عليهم جميعا، فإن قيل: أولوا الأمر من يملك الأمر بالولاية على الناس، وليست هذه صفة أهل العلم، قيل له: إن الله تعالى لم يقل «من يملك الأمر بالولاية على الناس» وجائز أن يسمى الفقهاء أولي الأمر لأنهم يعرفون أوامر الله ونواهيه ويلزم غيرهم قبول قولهم فيها، فجائز أن يسموا أولي الأمر من هذا الوجه كما قال في آية أخرى: لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُون ، فأوجب الحذر بإنذارهم وألزم المنذرين قبول قولهم، فجاز من أجل ذلك إطلاق اسم أولي الأمر عليهم؛ والأمراء أيضا يسمون بذلك لنفاذ أمورهم على من يلون عليه(٩).

ومن هنا كان للعلماء دور كبير عند شغور الزمان من السلطان العام وخلوه من إمامة جامعة تلتقي عليها كلمة المسلمين، يقول الإمام الجوينيّ: " فإذا شغر الزمان عن الإمام وخلا عن سلطان ذي نجدة وكفاية ودراية، فالأمور موكولة إلى العلماء، وحق على الخلائق على اختلاف طبقاتهم أن يرجعوا إلى علمائهم، ويصدروا في جميع قضايا الولايات عن رأيهم، فإن فعلوا ذلك، فقد هدوا إلى سواء السبيل، وصار علماء البلاد ولاة العباد"] (١٠) .



(٩) أحكام القرآن للجصاص (٣٠٤/٢).
(١٠) الغياثي غياث الأمم في التياث الظلم - للإمام أبي المعالي الجويني إمام الحرمين
ت: عبد العظيم الديب - مكتبة إمام الحرمين الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ ص ٣٩١

هذا الدور الجوهري المؤثر المحرك هو الذي يخشاه ويتحاشاه النظام الدوليّ الذي تقوم مؤسساته وأنظمته على أساس مضاد تمام المضادة لما في رأس هؤلاء العلماء؛ ومن ثمَّ فلابد من وضعهم في (ثلاجات) تُحَوِّلُهم إلى مجرد أجساد وتَحُولُ بينهم وبين دِفء التغيير وحرارة التأثير، وتقطع الصلة بينهم وبين الشعوب، ولا سيما الشباب الغَلَّاب الوَثَّاب؛ لنبقى هكذا أبداً؛ يدور حالنا بين فقه مقيد أسير، ونضال بلا وعي ولا منهجية في كل أفق يعن له يجمح ويطير، ويظل علماؤنا بين شجب وشجب، شجب لعدو متجبر وشجب لشباب متعثر.

فليس من طريقة هذا الدين أن يترك المسلمين في لحظة من لحظات دهرهم فوضى لا سراة لهم، كيف وهو الدين الذي اشتمل على ما لا يقوم ولا يقام إلا (بالنظام) على أيِّ وجه من الوجوه الشرعية أتى هذا النظام !!



ومن عجب أن يستدل العلماء على وجوب الإمامة بأنها ضرورية لإقامة أحكام الدين التي لا تقوم إلا بها؛ اتباعاً لقاعدة: "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"، ثمّ إذا شغر الزمان من الإمامة، وصفرت يد المسلمين من القدرة على إقامتها؛ أفلتت القاعدة من أيديهم؛ فتركوا الأمّة سدى والأحكام الشرعية هملاً، وكأنَّ هذه القاعدة الفقهية الكلية الممتدة قد حبست في إطار الإمامة فهي متعلقة بها وجوداً وعدماً !!

”كلا .. لم يترك الله تعالى أمّة الإسلام سدىً، ولم يَدَعْ أحكام دينه هملاً، وإنما نحن من أوجد هذه الحالة الناشزة عن طبيعة الإسلام؛ إذ لم نعمل بذات القاعدة في تفعيل الدور القياديّ للعلماء، وخالفنا منهج الله في الترتيب لدينه وأمته؛ فطبيعيّ أن ندعو فلا يستجاب لنا، وأن نسعى ونجتهد فلا نصل إلا إلى فشل يتلوه فشل، ثم نتعجب ونقول: "أنّى هذا" ! والعجب كل العجب إنما هو من تعجبنا ذاك !!“



إنّ هذا الزمان الذي نعيشه زمان خلا من الإمام العام القوام على الأنام بشريعة الإسلام، وفرغ من السلطان الشرعيّ الذي يناط به قيام أحكام الشريعة والحفاظ على الملة، ووجود بعد سلاطين العدل في بقاع قليلة متفرقة لا يكفي مع اتساع خطة بلاد الإسلام وتفرق أمصار المسلمين، ومن هنا وجب على العلماء أن يقودوا الشعوب إلى التحرر من الأنظمة المرتبطة بأعداء دينها، ولا يكون هذا إلا بأن يجتمعوا ويضعوا رؤيتهم ومشروعهم يتقدموا الجموع على كل المستويات. والله تعالى أعلم



جهنم المتر المربع

د. مجدي شلش

أخطر سياسة دمرت أفغانستان وسوريا وليبيا واليمن ولبنان ويراد تطبيقها في مصر، أن كل مجموعة تعمل وحدها فيما تحسن، السياسيون يعملون وحدهم، والاقتصاديون وحدهم، والشرعيون وحدهم، والجهاديون وحدهم، والمفكرون وحدهم، كل يلعب في مربعه، والمربع الواحد قد يتجزأ إلى أجزاء صغيرة، فليس كل السياسيين في مربع واحد وكذا غيرهم مثلهم.

سياسة المربع الواحد غالبًا ما تنشأ إذا فشلت التنظيمات الكبرى وأصابها شيء من الجمود أو التمزق أو الانقسام، فيُصاب البعض بالإحباط واليأس ويلجأ لسياسة المتر المربع فينكفئ كل أهل تخصص على أنفسهم غير منشغلين بغيرهم.

أمامنا دول عاشت التجربة فمُزقت كل ممزق، وما استطاعت طائفة في مساحتها التي تلعب فيها أن تقدم نجاحا ملموسًا. سوريا فيها آلاف الأمتار المربعة إن لم تجد من تحاربه حاربت نفسها وقتلت بعضها. ذات النموذج كان في أفغانستان بعد أن انتصر المجاهدون على الاتحاد السوفيتي قتلوا بعضهم من أجل أن يمتلك كل فصيل المتر المربع الذي يعيش فيه وينطلق منه الآخر. ليبيا التي ضربت الاستكبار القذافي في مقتل رجع الثوار إلى المتر المربع فذهبت ريحهم وانهارت قوتهم أمام مساحة الفدان العالمي الذي يستخدم أزلامه في كل مكان.

يُراد لنا أن نعيش في متر مربع ويرتع الاستعمار الصهيوأمريكي في المساحة الأوسع؛ فيدوس بقدمه عشرات الأمتار المربعة في كل مكان. ❝

إنها سياسة خرقاء حمقاء أقل وصف لها قوله تعالى: (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [آل عمران: ١٠٥] وقوله تعالى: (وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ...) [الأنفال: ٤٦]

مصر يراد لها أن تدخل في مهلكة المتر المربع، عشرات الجماعات الشبابية الجهادية وغير الجهادية تطل برأسها على الساحة المصرية، حتى لو انتصرت

في معركتها مع الانقلاب هل تراها تجتمع على رأي واحد وفكرة واحدة بعد كسر عدوها؟ أم الاقتتال الداخلي فيما بينها وادعاء كل طائفة أنها صانعة النجاح وحدها ونعيش النموذج الأفغاني أو الليبي أو اليمني؟

" جسد الأمة بشبابها ورجالها ونسائها ما زال بخير، يحتاج إلى قيادة جامعة ملهمة لا إلى نتوءات صغيرة يسهل بلعها وهضمها. الأهداف الكبرى لا يمكن أن تقوم بها مساحات مهلهة ومقسمة ومنوعة، إنما تقوم بها الكيانات الكبرى التي جمعت الطاقات الملهمة والمبدعة. الأمم والجماعات الكبرى قد تمرض وتصاب بالعطب من ذاتها لكن بديل المساحات الصغيرة أصعب من الموت الذاتي لأنه هلاك بقسوة وقوة وانحدار قيمي وأخلاقي جعل الأخ يقتل أخاه بدون رحمة أو رأفة. "

الأرجح والأصوب لنا أن ننظر في سبب العطب والخلل الذي أصابنا ونعالجه فقد يصح الجسد بعد أن ظن البعض أنه تودع منه. التنوع والتخصص داخل الكيان الكبير مهم ولازم، لكن الانقسام في مساحات محدودة هلاك مبين.

آيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم تدعو إلى مساحة الأمة الواحدة ذات المكانة السامية والهمة العالية {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا...} [آل عمران : ١٠٣]

التنوع في التخصص محمود ومشروع لكن في إطار الرؤية الواحدة والاستراتيجية الجامعة، هدم الكيانات الكبرى لمجرد شلل جزئي في مركز القيادة يمكن تداركه من أبناء الحركة وهم بالآلاف خيانة للتاريخ وللحاضر ودمار للمستقبل.



تعدد الكيانات الموازية

د. علي العمري*

لستُ سياسيًّا تنفيذيًّا لأطَّلعَ على تفاصيل اللعبة التامة التي تُحاك بالأمة، ولكن فيما يبدو أن الدخول في هذه المناصب لن يجدي كثيرًا ما لم يكن صاحبها ذا إدراكٍ عميق، وقرار مكين!

لأنَّ الذين هُم خارج السلطة التنفيذية اليوم وضَح أنهم بمجموع عقلائهم وخبرائهم وحكمائهم ومناضليهم قد يكونون (أقرب) إلى الوعي السياسي العام، وفهم مستقبل المنطقة، و(أبعد) عن التحالفات الخدّاعة التي تُحيكها "الكيانات الموازية" في كل (منطقة) و(مرحلة).

نحن اليوم (داخل) و(خارج) حلبة المنافسة.

---

*نُشر هذا المقال على موقع https://www.alomarey.net/article/ وهو بقلم الأسير الدكتور علي العمري، فك الله أسره، بتاريخ ٣٠-١٠-٢٠١٧ م.

- نحن في داخلها عندما تَفرض الكياناتُ الموازيةُ الأزمات، وتتحمل الشعوب تبعاتها، إما بقرارات سياسية خاطئة، أو أثمان تتحمّل ضرائبها.

- ونحن في خارجها عندما تكون الشعوب في موقف المتفرج، ولا تملك أيَّ أداة مادية، ولا منبرًا معنويًّا تعيد فيه ولو شيئًا مقبولًا من التوازن، مقابل التهور اللامعقول فيما يتعلق بمصيرها.



نحن اليوم كمن يصارع بعينيه ويداه مكبّلتان، أو يدفع المجتمع نحو قضايا هامشية وحبال المشنقة مرفوعة نحوه تقول هل من مزيد.

كل هذا يحدث أمامنا، وتيارات العمل المدني والمشروع الإصلاحي الوسطي السِّلمي تتخاصم على ماضيها، وتستغرق حالمة فيما يتعلق بمواقعها لمستقبلها، دون أن تنظر في حاضرها، أو إمكاناتها وقدراتها!

المشكلة الكبرى أن كل قواعد اللعبة باتت مكشوفة، والمعنيون بالإصلاح لا يزالون بعيدين عن إدراك مكامن الخطر!

هذه (داعش) بأيدي سبأ تعبث في الموصل وحلب وغيرهما في حركات بهلوانية حسب الطلب والغرض، لا نراها تقريباً تقاتل إلا حيث يوجد أهل السنة، وتجعلهم هدفًا لها.

الكثير من الأيادي تحرك أولئك الدواعش، وكأنهم إنما وجدوا لتمهيد الأرض لأعداء الأمة.

وهذه (الفيلة المتخمة) التي تُعيق عواصف الحسم والحزم، تُطِلُّ علينا من جديد ويُسَيّرها في السّيِرك ذوو قبعات (الكاوبوي).

والجمهور العالمي في موقع الفُرجة يصفق بحرارة لتلك الألعاب البلهوانية، دون مساهمة فعالة لإرجاع الحق إلى الشعب الذي تحاول العصابات إذلاله!



والشعوب نفسها ربما ملت من طول الأحداث، ووقوعها تحت رحى المعاناة، حتى تصاب باليأس، أو في أحسن الأحوال تتهم نفسها، وتجلد ذاتها، معتقدة أنها السبب الوحيد فيما يجري لها، وكأنها تستحضر وصف (نعوم تشومسكي): "حتى تتمكن من السيطرة على الشعب، اجعله يعتقد بأنه هو سبب تخلفه".

جُلُّ من في المنطقة يُغطي عينه بغربال كالح، ويصنع كياناته الموازية بوعي وبدون وعي، ويُحاسب من لا يستحق المحاسبة.

المنطقة برمتها تلعب فيها القرود ما لا تلعبه الأسود!

قرود تَقفز من مكان لمكان بسهولة، وتُخرِّب العلاقات، وتُطيح بالأصدقاء والحُلفاء، وتُكهرب الحياة، وتَقطع أشجار العطاء والجَمال، وتَستنزف ما تبقى من بحيرات وسواقٍ، أو ترمي فيها "حميل السيل"؛ فوجودها وعدمها للحياة والأحياء سواء.

وفي الليل تغني القرود، وترقص القِيانُ على إيقاعها، ومن لم يشاهدها على الهواء مباشرة شغل وقته بمتابعتها في وسائل تواصلها الاجتماعي الموجَّهة!

في مقابل مسرح السيرك توجد ساحات التدريب العسكري والمواجهة الإعلامية ضد الأعداء، التي يتحدث عنها الشرفاءُ، وينصح قادتَها الحكماءُ، لكنَّ الكيانات الموازية مرة أخرى تجعل كلَّ ناصحٍ مُعاتبًا، وكلَّ صاحبِ رأيٍ مُتَدخِّلًا فيما لا يعنيه!



وسقوط الناصحين والشرفاء عند أعتاب الساحات نذير شؤم، وكسر أقلامهم وكبت أصواتهم عند أول المداخل يعني تحطُّم الأسوار الداخلية وترك الأبواب الخارجية لوحدها تصارع قدرها.

حديثنا عن المنطقة العربية والإسلامية برمتها، دون تخصيص أو تقويس.

ولأجل الدخول لحلبة المنافسة؛ فالتأكيد ضروري على أن الدخول للأقوياء فقط.

ولكن القوة الماديّة تحتاج معنويًّا لكل الجماهير (المشجعة بصدق) دون الالتفات لهيئاتهم وخلفياتهم.

وتَحجيم الداخلين للحلبة بحجج أيديولوجياتهم ومسمياتهم سخافة مُفتعلة.

ففي وقت المنافسة يحتاج من في الحلبة لكل مشجع، لكل صوت، لكل راصد، لكل مُحلل، لكل عين تَطرف وتتابع حتى لو من خارج الحلبة.

وفريق البطل يغربل كل ما قاله وتحدث به من حضر ومن لم يحضر.

والحال يشبه ناديًا يحتاج للمحللين من المحبين، أو حتى لو كان هؤلاء المحللون من الخصوم المتنافسين؛ لأنه هو المستفيد ليومه ومستقبله.

"والكيانات الموازية فقط هي من تنشغل بالشتم، وتُحجِّم الرأي فيما ترى وتقول؛ فهي تشبه صحفيًّا مأجورًا يظن أنه وقد تمكن من الكتابة في عمود صحفي، يظن أنه العالم ببواطن الأمور، اللاقط لما بين السطور، وهو كاتَبٌ بالأُجرة! لكنْ ماذا لو كان رئيس الفريق ومدير النادي لا يتابع إلا هذا العمود من هذا الصحفي فقط؟!!"


فهل على العاقل والناصح لومٌ بعدئذ؟!



الحرب في الإسلام

الشيخ محمد أبو زهرة *

والرحمة الإسلامية ليست هي مجرد الشفقة أو الرأفة أو الانفعال بالعطف نحو جريح أو مكلوم؛ إنما الرحمة الإسلامية تختص بأنها الرحمة بالجماعة أولاً وبالآحاد العادلين ثانيًا...

ولأن الرحمة الإسلامية تعم ولا تخص كان لها جانبان:

أحدهما: بث التآلف والتوادّ والتراحم بين أهل الإيمان وأهل الحق، والتعاون معهم على إقامته ونصرته و إعلاء كلمته. والجانب **الثاني:** منع الظلم ودفع الأذى والغلظة على الظالمين حتى يؤبوا إلى الحق، و على المعتدين حتى يكفوا عن الاعتداء.

---

* من مقدمة الشيخ محمد أبو زهرة لكتابه: نظرية الحرب في الإسلام، ص ٨-١١ ، سلسلة دراسات إسلامية، ط: وزارة الأوقاف المصرية، عدد ١٦٠ ، ٢٠٠٨ م .

وكان المسلمون حقًا بين جانبي الرحمة متصفين بما قاله رب العزة فيهم: (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [الفتح: ٢٩]. وكما قال فيهم تعالت كلماته: (أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ) [المائدة: ٥٤].

والرحمة والشدة في الآية الأولى كلتاهما تنبعثان من معين الرحمة ، كما أن الذلة والعزة في الآية الثانية كلتاهما تنزعان من منزع العزة؛ فعزة المؤمن أن يكون متطامنًا لأهل الحق مستعليًا على أهل الباطل.

ليست إذن رحمة الإسلام أمرًا سلبيًا بل هي أمر إيجابي.



ومن أنواع الرحمة السلبية ما يخفي في ثناياه قسوة على الجماعة كأولئك الذين يرحمون الجناة، فإن رحمتهم من قبيل الانفعال الذي يكون ظلمًا للجماعة وأهل الحق؛ إذ يُفزع الآمنين ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: "من لا يرحم لا يُرحم". وقال تعالى في محكم كتابه: (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) . [البقرة: ١٧٩]

ومن قانون الرحمة شرعت شريعة الجهاد؛ فالجهاد في الإسلام دفع الاعتداء، وإقامة الحق ورفع مناره، والقضاء على الظلم والفساد.

" إن الرحمة بالإنسانية توجب وقف المعتدي عن الاعتداء ومنع الظالم من الظلم ودفع الفساد في الأرض وإقامة دعائم الحق، وذلك لا يكون إلا إذا قيل للمعتدي: قف مكانك لا ترم، وقيل للمظلوم إن معك من يحميك ومن يدفع عنك شر الظالم، فإذا كان في الحرب قتل ففيها منع لسفك الدماء إن قام بها العادلون. "

إن الله خلق الإنسان وفيه نزوع إلى الخير ومعه نزغات الشيطان كما قال سبحانه: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا). [الشمس: ٧،٨]

وإن الخير والشر يتنازعان في نفس كل إنسان وفي أنفس الجماعة وبين الدول، فمع الشر الاعتداء ومع الخير منع الاعتداء.

فإذا اعتدى الشر وجب على أهل الخير أن يدفعوا، وإذا كان العبث والفساد وجب على أهل الإصلاح أن يمنعوا، وإذا كانت الفضائل تُنتهك وجب على الفضلاء أن يكفوا الرذيلة عن غوايتها ويمنعوا استشراءها واستمرارها مع الفساد.

ولذلك كان الجهاد شريعة ماضية إلى يوم القيامة... لأن النزاع بين الخير والشر ماضٍ إلى يوم القيامة، فكان الجهاد أيضًا لابد أن يستمر ليمنع الشر من أن يسيطر. وليظهر الخير حتى لا ينزوي ولا يستخذي ولا يضعف ولا يذل، ولولا ذلك لعمّ الظلم ولطغى الشر وظهر الفساد في البر والبحر من غير أن يظهر خير بجواره (... وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ). [البقرة: ٢٥١]



قتال الإخوة ..
لماذا يتعارك الثوار؟

حامد عبدالعظيم

أصبح من العادي أن ترى الفصائل الثورية أو الجهادية يقاتل بعضها بعضًا إثر ثورة أو حرب تدفع الصائل، مخيبين بذلك الآمال التي عُقدت عليهم، وغير مبالين بنداءات الوحدة والتعاضد والتكاتف أمام العدو الواحد، ويُثار سؤال منطقي للغاية مفاده:

ألستم كلكم مسلمين وتدافعون عن القضية الإسلامية وتقاتلون من أجل المستضعفين؟ أليس عدوكم واحدًا وظاهرًا لكل ذي عينين؟ فلماذا يقاتل بعضكم بعضًا إذن!

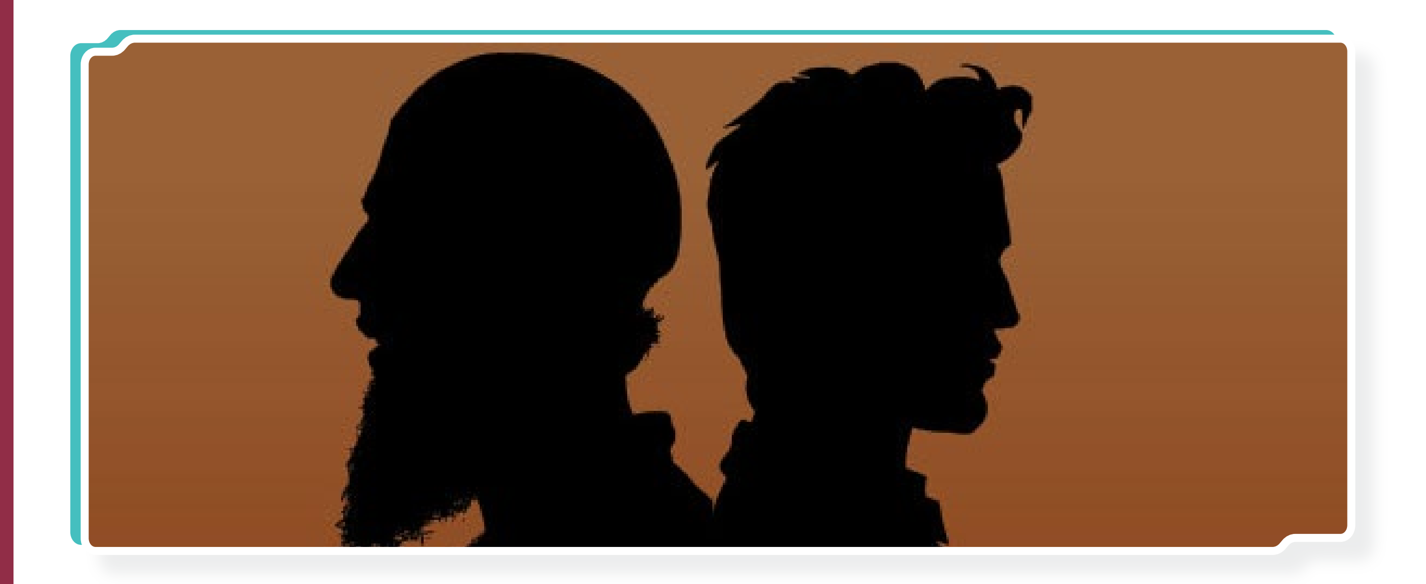
وتكون النتيجة أن يتجه قطاع ليس بالقليل من مؤيدي الثوار والمجاهدين والمساندين لهم إلى الاعتقاد بأن هذه الفصائل ما هي إلا فصائل تسعى وراء الدنيا وتسير تبعًا لمصالحها، إذ لو أنهم يُقدّمون مصلحة دينهم وشعوبهم ما سقطوا في هذا الوحل العميق من النزاعات والشقاقات!

والحق أن الوسط الثوري والجهادي يعج بالصادقين والحريصين على نصرة دينهم والذين ما انضموا إلى هذه الفصائل إلا بنوايا صادقة، ولكن للأسف الشديد الغالبية العظمى من هؤلاء ليس بأيديهم شيء، ويجدون أنفسهم في أتون معارك لا يعلمون عن مسبباتها وأهدافها وجدواها شيئًا، إنما الأمر في يد حفنة ممن رفعوا شعار الجهاد وهم أحوج الناس إلى مجاهدة أنفسهم وحملها على الحق والعدل.



والآن نأتي لسؤال المقال الأساسي ونحاول الإجابة عليه في نقاط مركزة حتى تبقى في الأذهان ولا تتوه في وسط الكلام: لماذا يتقاتل الإخوة؟

وهو سبب مهم وأساسي، والاختراق الاستخباراتي لا يجب أن يكون كما يعتقد البعض في صورة عميل يتزيا بزي الجهاديين ويكون في القيادة، بل الاختراق الاستخباراتي أوسع من ذلك بكثير جدًا، فمنه تسريب المعلومات الاستخباراتية المضلة لتصل إلى قيادات الفصائل وتتسبب في التحريش بين المجموعات المختلفة، وتسريب المعلومات هو أمر له حيل عديدة شيطانية، مثل استخدام الصحافة ووسائل الإعلام للتركيز على معلومة ما تخص جماعة ما، مما يهيج الآخرين ضدها، ومرورًا باختراق القيادات الصغيرة التي يسهل اختراقها لتوصّل رؤية ما أو انطباعًا معينًا إلى القيادات الكبيرة التي تمتلك زمام الإدارة والقيادة، وغير ذلك من الأساليب التي لا يتسع المقام لذكرها، والتي تتفرغ لتأليفها ووضعها أجهزة كاملة تنتمي لعشرات الدول عبر شبكة عملاقة من آلاف الموظفين من مختلف التخصصات.



◎ إن هدف التحريش بين المؤمنين هو هدف شيطاني بامتياز قد أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: "إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم". وبالطبع لن يغفل أولياء الشيطان عن هذه الطريقة وهذا الأسلوب لإضعاف المؤمنين بزرع الفتنة بين صفوفهم.

القادة الفاسدون

نعم، الفصائل الجهادية بها قادة فاسدون، وهذا الفساد منه ما هو فساد مالي، فتجد القيادي يمتلك السلاح الغالي ويتفاخر به ويضعه في جانبه متباهيًا، والسيارة الفخمة ويتباهى بها، دون مراعاة لوجوده في ساحة قد تهدمت أركانها وتداعت أبنيتها، وبلا مبالاة لشعب يقتله الفقر تدريجياً وتنال منه الحرب يومياً.

ولا يُشترط أن يكــون هــذا الفساد فسادًا مالياً فحسب، بـل مـن الممكن أن يكون فسادًا إدارياً، بتقريب المطيعين طاعة عمياء، واستبعاد الكوادر والأذكياء فقط لأنهم "مزعجون" ويبدون آراء مختلفة، فيُقضى عليهم ويُطردون أو يُهمشون على الأقل، مما يؤدي إلى نفورهم وربما انشقاقهم وزيادة رقعة الضغينة، كل ذلك بسبب قيادات فاسدة فشلت في احتواء أبنائها وكوادرها وأدمنت سماع قول الأتباع "نعم" و"لبيك"!

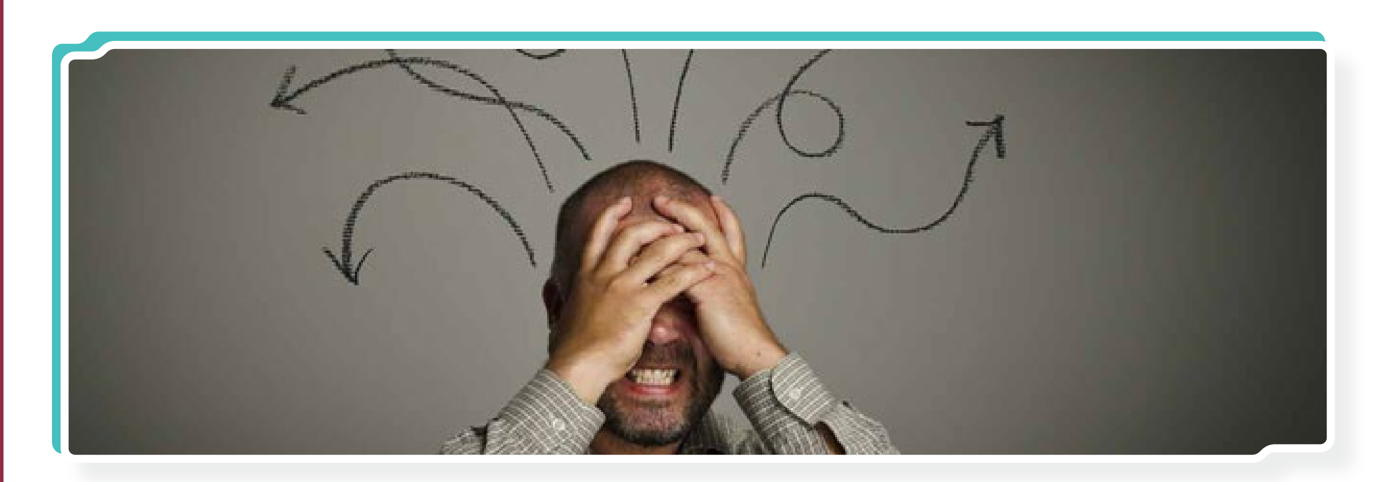


غياب فقه الاختلاف وإدارته

الساحات الجهادية تعاني من غياب فقه الخلاف وتفتقر إلى إدارة الخلاف بطريقة ممنهجة، فعلى الرغم من أن الخلاف قد دمر أعمالًا جليلة سابقة، يُنظر إلى إدارته ومنهجية التعامل معه باحترافية على أنه ترف وأنه أمر غير عاجل أو مهم! وتُعامَل مسألة الخلاف معاملة سطحية وفقط عند حدوثها بطريقة الهواة.

على عكس الجدية المطلوبة في إدارة الخلاف، بتكوين تنسيقيات وهيئات تبث ثقافة التآلف وتعمل على جمع القلوب والتقريب بين المختلفين بعقد الفعاليات المختلفة الاجتماعية التي تجمع بينهم، تلك الهيئات تتدخل أيضًا في حالة نشوب أي صراع وتكون لقراراتها صفة الإلزام لا فقط أن تكون استشارية.

إن الخلاف شـر مطلق، خاصـة فـي الساحات الملتهبة، ولا يجـب إبراز أي قضية خلافية وإذكاء نارها وتركها تستعر لتأكل الأخضر واليابس، يجب التعامل مع الخلاف في الساحات المشتعلة على أنه كارثة وخطر لابد من القضاء عليه ومواجهته بحزم.



ضيق الأفق والجهل

"لو سكت من لا يعلم لقلّ الخلاف".. **"كلما زاد علم المرء قل إنكاره"**، مقولتان كاشفتان لحال الفصائل الثورية والجهادية بكل أسف، الكل يتكلم في كل شيء، والجميع يقوم بالإنكار حتى لو لم يؤت سعة من العلم باختلاف المذاهب والمشارب.

فهناك حالة سائدة من ضيق الأفق والجهل، الذين يتسببان في كثير من الممارسات الكارثية على أرض الواقع، حالة سائدة من تصدر الجهال تحت لقب "شرعي" يُنظر إليه بتقديس، ويفتي في الدماء، ويفتي في حُكم خوض معارك ضد فصائل جهادية أخرى ومدى جواز ذلك من عدمه، وبعضهم في العقد الثاني

من عمره أو بدايات الثالث، وبعضهم لم يدرس دراسة شرعية كاملة أو متوازنة، وكل مصادر تعليمه جهود ذاتية وعشوائة، مجالس علم متفرقة هنا وهناك، مقاطع صوتية لشرح كتاب لشيخ من الشرق وآخر من الغرب.

وهذا يؤثر بصورة مباشرة على نشوب الخلاف والصراع بين المجموعات المختلفة بناء على فتاوي متعجلة لا تراعي الأبعاد المختلفة والأوضاع المركبة للمواقف المختلفة، فتاوي تؤدي إلى حالة فوضى من التخوين والتبديع والتكفير، مع التذرع بالأدلة الشرعية والتمسك بالدين، ووسط إعجاب كل ذي رأي برأيه، وتلك لعمري هي الفتنة بعينها.



عدم الإعذار والتغافل

إن حسن الظن والتماس العذر والتغافل لم يردوا في الوحي من أجل أن تعذر أخاك فقط لأنه تأخر عن موعده معك، أو لتحسن الظن بأخيك بسبب هاجس وقع في نفسك عنه، أو تتغافل عن كلمة قالها جارك عنك، بالطبع هذا كله مطلوب، ولكن حسن الظن والتماس العذر والتغافل يجب أن يكونوا أيضًا في الساحات الجهادية، وهو الأمر الذي غاب بصورة كبيرة لصالح التراشق بالألفاظ وتذكية وإشعال نار الفتن وثقافة الردود الشديدة التي لا تراعي في المردود عليه إلاً ولا ذمة!

هناك حالة من عدم تحمل المسؤولية، حالة من عدم التحمل من أجل المصلحة الأكبر، حالة من ضيق الصدر. ولا شك أن هذا يؤدي إلى الفتن.

والأسباب كثيرة..

هذه فقط خمسة أسباب من أسباب كثيرة، يجب أن يجتمع المصلحون والدعاة والصادقون لاكتشافها ووضع طريق للتعامل معها وضمان عدم تكرارها ونقل العدوى من ساحة إلى ساحة، مع النظر في التجارب التي ابتعدت عن الخلف وكيف أثر ذلك على نجاحها، وبهذا الصدد بالطبع لا يمكن أن نغفل الساحة الأفغانية والتماسك الشديد للأفغان المقاومين، فهو نموذج مبهر، كيف أنهم استطاعوا طيلة هذه السنوات من نبذ الخلاف واحتوائه والسيطرة عليه دون أن يخرج عن الحد، حتى يخيل للمرء أنهم عقل واحد وقلب واحد، على الرغم من أنهم عاينوا بأم رأسهم تقاتل الفصائل الأفغانية عقب الانسحاب السوفييتي، ولكنهم استفادوا من التجربة ووضعوها فيما يظهر نصب أعينهم دائمًا.

"**قل هـو مـن عند أنفسكم**" خطاب من الله سبحانه وتعالى للمسلمين في وقت تكالبت عليهم فيه الأعداء، ولكن الله تعالى أوقفهم على المصدر الأساسي وراء كل مشكلة، بدلاً من تعليق الأخطاء كلها على شماعة أعداء الأمة، بل بأيدينا أمور كثيرة لنفعلها ولكننا تقاعسنا عنها وتساهلنا فيها، وتسرعنا، مما يؤدي إلى تكرر الأخطاء بحذافيرها فقط مع تغير الأسماء وتبدل الأماكن والوجوه والأزمان، للدرجة التي أصبح من الممكن توقع ما سيحدث في كل ساحة في ظل وجود هذه الأسباب وغيرها من المفخخات التي تدمر كل الجهود والمساعي لتحرير أمتنا والوصول بها إلى مرحلة تمتلك فيه قرارها دون تبعية لشرق أو لغرب.

- ونختم بقول ربنا سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}. [آل عمران: ١٠٣]

- وقال سبحانه: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال: ٤٦]


klmtuhaq
كلمة حق
العدد ٢٣ ، يونيو ٢٠١٩ | كلمة حق
المشرف العام
محمد إلهامي
مـدير التحـريـر
حامد عبدالعظيم